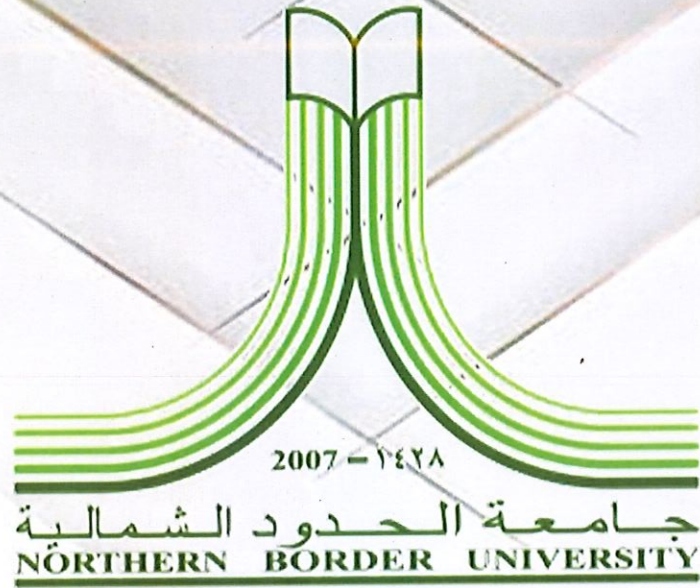




مقرر الأدب الإسلامي

إشراف د. خالد الشراري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة الموضوعات

1. توصيف المقرر وتوضيح فائدته.
2. العصر الإسلامي وتغير حياة العرب.
3. العوامل الجديدة التي أسهمت في الحياة الأدبية.
4. من فنون النثر العربي "الخطابة".
5. من فنون النثر العربي "الرسالة".
6. نص من القرآن الكريم.
7. نص من الحديث الشريف.
8. خطبة تولية الخلافة لأبي بكر الصديق.
9. اختبار نصفي.
10. رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري لتوليته القضاء.
11. نص حسان بن ثابت في بيعة بني تميم في عام الوفود.
12. نص من عينية أبي ذؤيب في فقد أبنائه.
13. نص من بردة كعب بن زهير.
14. من معلقة زهير بن أبي سلمى.
15. من خطبة علي بن أبي طالب مع مناقشة عامة ومراجعة.

توصيف المقرر وتوضيح فائدته

يتناول هذا المقرر دراسة الأدب العربي في العصر الإسلامي، من خلال تتبع مظاهر التحول الكبرى التي شهدتها المجتمع العربي، وما نتج عنها من تغيرات فكرية وثقافية انعكست بوضوح في النتاج الأدبي شعراً ونثراً، وإبراز التحولات الجذرية التي أحدثها الإسلام في بنية المجتمع العربي؛ كالانتقال من العصبية القبلية إلى الوحدة الإيمانية، ومن الجاهلية إلى الإسلام، وما صاحب ذلك من تغير في القيم والمفاهيم.

يبين العوامل المؤثرة في الأدب من خلال تحليل أبرز المؤثرات التي ساهمت في إعادة تشكيل المشهد الأدبي، مثل العقيدة الإسلامية، الفتوحات، الاحتكاك بالأمم الأخرى، وبروز الحاجة إلى خطاب ديني وسياسي وأدبي جديد.

يبين فنون النثر العربي، والوقوف عند فني الخطابة والرسالة، باعتبارهما الوسيلتين الأبرز للتعبير الأدبي والتأثير الفكري في المجتمع الإسلامي المبكر، من خلال نصوص مختارة كخطب أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ورسائل عمر بن الخطاب، بالإضافة إلى دراسة نصوص مختارة من القرآن الكريم والحديث الشريف لإبراز الجوانب البيانية والإعجازية، إلى جانب دراسة شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير وأبي ذؤيب الهذلي وغيرهم، مع التركيز على الخصائص الفنية والموضوعية.

فائدة المقرر

- إثراء المعرفة التاريخية والأدبية: من خلال تكوين صورة شاملة عن العصر الإسلامي وظروفه الفكرية والسياسية والاجتماعية.
- تنمية القدرة على التذوق الفني: عبر التعامل المباشر مع نصوص قرآنية وحديثية وأدبية متنوعة.
- إكساب مهارات التحليل النقدي: من خلال ربط النصوص بسياقاتها المتعددة (الدينية، السياسية، الاجتماعية)، والقدرة على تفسير دلالاتها ومعانيها.
- تأصيل الهوية الثقافية: من خلال التعرف على رموز الأدب الإسلامي ورواده، وترسيخ الاعتزاز بالتراث الأدبي العربي الأصيل.
- التعرف على خصائص العصر الإسلامي وأهم العوامل التي أثّرت في الحياة الأدبية.
- الإحاطة بفنون النثر الإسلامي (الخطابة والرسالة) من حيث وظائفها الفنية والاجتماعية والسياسية.

• التعرف على أبرز أعلام الشعر الإسلامي والمخضرمين وأهم موضوعاتهم الشعرية.

• الوقوف على إعجاز القرآن الكريم والحديث الشريف من الناحية البيانية واللغوية.

العصر الإسلامي وتغير حياة العرب

يشمل عصر صدر الإسلام عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، وقد اتفق كثير من الدارسين على ذلك، أي تحديد عصر صدر الإسلام بدءاً بالبعثة النبوية، وانتهاءً بتنازل الحسن بن علي (عليهم السلام) عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ، أي أن هذا العصر يشغل نصف قرن من الزمان تقريباً. على الرغم من أن بعض مؤرخي الأدب يعدون الفترة الممتدة من مبعث النبي إلى سقوط دولة بني أمية (١٣ هـ) عصرًا أدبيًا واحدًا يطلق عليه بعضهم عصر صدر الإسلام، ويسميه الآخرون العصر الإسلامي .

إن مصطلح صدر الإسلام يشمل الفترة الممتدة من البعثة النبوية إلى بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ، ويشمل عصر الرسول والخلفاء الأربعة.

أهمية العصر وطبيعة الحياة في ظل الإسلام:

لصدر الإسلام تفرد عن العصور الإسلامية اللاحقة فيما يخص طبيعة الأوضاع الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فقد شهد المجتمع تغييراً جذرياً في طبيعة الحياة وعلى صعيد الفرد والمجتمع مما كان له الأثر الكبير على الأدب شعراً ونثراً.

من المسلم به أن الأدب يتأثر بالبيئة ويعكس ما يجري في المجتمع، وفي هذه المرحلة تأثر الأدب شعراً ونثراً بالحياة الإسلامية الجديدة ومتغيراتها. لقد كان ظهور الإسلام أعظم حدث في تاريخ العرب فلا بد أن يكون له ابلغ الأثر في حياة العرب، فهو الذي غير معالم الحياة العربية، وبذل المفاهيم والأنظمة، وسما بالإنسان العربي إلى عالم جديد من التفكير والتدبر لم يألفه من قبل .

من الناحية الدينية

لقد مثل الإسلام بتعاليمه ومثله ومبادئه وأهدافه ثورة على الحياة العربية الجاهلية بكل مجالاتها ونواحيها، فعلى الصعيد الديني كان الإسلام ثورة دينية وفكرية عظيمة جاءت بكثير من القيم والأفكار التي نسخت وغيّرت كثير من الاعتقادات السائدة في

الجاهلية، لقد دعا الإسلام الى عبادة روحية سامية، دعا الى عبادة الله ونبتذ عبادة الأصنام وغيرها من الاعتقادات الأخرى ولفت عقول العرب الى أن هذا المعبود هو إله واحد، وهو إله كل شيء، رب العالمين، واحد لا شريك له، خالق مبدع كل ما في الكون من صنعه، لا يخفى عليه أمر. كما نبه العرب الى حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، وأن هناك يوماً للحساب يحاسب فيه المرء على ما قدمت يده (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وبذلك ربط مصير الإنسان في حياته الأخرى بالباقية بأعماله على الأرض في حياته القصيرة الفانية.

كما لفت الأنظار الى ملكوت السماوات والأرض وحث على النظر فيه، وتدبر صنعة الله، والاستدلال بالخلق على خالقه، وقد حارب الإسلام ما كان شائعاً في المجتمع الجاهلي من خرافات وأوهام داعيا الى إعمال الفكر المنطقي الخالص، والتأمل العقلي الصرف محركاً بالعقول بالمعرفة، وموجهاً الأذهان الى النظر والفهم والتدبر.

وقد عزز الإسلام هذه الأفكار بفروض عملية تنظم علاقة المسلم بربه كما تعمل على تنمية الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية نحو مجتمعه من صلاة وزكاة وصيام وحج، وأوضح أن هذه الفروض لا تقبل من المسلم إلا إذا حسنت نيته، وصدق إيمانه حين يؤديها فإنما الأعمال بالنيات كما روي عن الرسول.

ومن حيث التربية والأخلاق فقد حرم الدين الإسلامي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، كالزنا وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله قتلها والبغضاء والحسد. لقد حاول الإسلام مخاطبة العقل العربي، وجعل للإنسان قيمة كبيرة، ودعا للرأي والاجتهاد، ورسم طرقاً جديدة من العلاقات بين المسلمين، وبذلك خلق مجتمعا متكافئا تسوده المحبة والرأفة والمساواة، وأصبح المثل الأعلى للإنسان المسلم هو الخضوع لله والانقياد لأوامره، والصبر على قضاائه، والقناعة، وعدم التفاخر بالأنساب وتجنب الكبر والعظمة، والتزام العدل، والأمانة والإحسان.

وهكذا لقن الإسلام العرب الآداب العامة، وعلمهم مناهج السلوك واللياقة، وشدد القرآن على دعوتهم الى البر بالفقراء والمساكين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والوفاء، وكل ما هو خير". وبهذه القيم الروحية يقوم الإسلام، فهو ليس عقيدة سماوية وفروضا دينية فحسب، بل هو سلوك خلقي قويم، يدعو الى طهارة النفس، ونبتذ كل الفواحش والردائل، ومراقبة الإنسان لربه في كل ما يأتي من قول أو فعل فإنه معروض عليه يوم القيامة.

من الناحية السياسية

لم يكن للعرب في العصر الجاهلي نظام سياسي موحد يحكم علاقات العرب مع الأمم الأخرى أو فيما بينهم، بل كانوا ينتظمون في قبائل، وكانت العصبية القبلية أساس المجتمع العربي القبلي أو البدوي، وكننتيجة لذلك فقد خضع العرب للنفوذ الأجنبي كالفارسي والبيزنطي، ولكن بعد مجيء الإسلام بمبادئه وقيمه الكبيرة والعظيمة وحد العرب وخلق لهم نظام سياسي واضح المعالم.

إن الإسلام أحدث ثورة سياسية وفكرية واجتماعية غيرت الكثير من القيم السائدة في المجتمع القديم، وبدأ العرب يشعرون لأول مرة بالوحدة، وازمحت العصبية القبلية التي تصدى لها الإسلام وقضى عليها، وانصهر العرب في وحدة إسلامية سياسية قوامها الاتفاق في العقيدة، ونظام الحكم، يدينون من خلالها بالطاعة لولي الأمر في الإسلام لا لرؤساء القبائل وسادتها، وينصاعون لحكم الإسلام لا لعرف القبيلة وتقاليدها الموروثة، ويعتاضون عن الولاء للقبيلة والتفاني في خدمتها بالولاء للإسلام والتفاني في خدمته، ونشر تعاليمه في ربوع الأرض ويلتمسون الحماية والأمن في ظل الإسلام لا بالانتماء الى القبيلة والاعتماد على نصرتها.

من الناحية الاجتماعية

حرص الإسلام على تأسيس مجتمع واضح الأعراف والمفاهيم في كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات، والروابط الإنسانية، ففي ما يخص المرأة والحياة الأسرية فقد أعلى الإسلام من شأنها وأكرمها، وأوجب العناية بها، والعطف عليها كما كفل لها حقوقها، وحفظ كرامتها، كما أوجب الإسلام لها نصيباً من الميراث تعزيراً لمكانتها واحتفاء بها، كما سن الإسلام قوانين العدل الاجتماعي التي جعلت المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم أخوة متساوين لا يفضل بعضهم بعضاً بأية ميزة من جنس أو نسب أو ثراء أو نحوه مما تعارف عليه العرب في الجاهلية، وإنما يكون التفاضل بمدى الاجتهاد في الطاعة لله وتقواه، يقول عز وجل: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ويقول الرسول في خطبة الوداع: "يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى" كما فرضت عليهم هذه القوانين أفضل نهج للتضامن الاجتماعي الذي يشيع بينهم المودة والرحمة، وينتزع من قلوبهم البغضاء والحقد.

هذه نظرة عامة حاولنا من خلالها أن نلم بمدى الأثر الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب العقلية والاجتماعية والسياسية والدينية، وإذا كان الأدب في أي مجتمع إنما هو صدى لما يدور فيه من أحداث، وترجمان ما يعتمل في صدور جماعته وأفراده من أفكار

وأحاسيس، ومرآة تعكس ما يصيب قيمه ومثله، وأوضاعه من تحول وتطور فقد كان حتمًا أن نتبع ما تقدم بالحديث عن الحياة الأدبية في صدر الإسلام لنرى الى أي مدى استجاب الأدب شعرًا ونثرًا لهذه الحياة الجديدة التي أضلت العرب براءة الإسلام. ولكي تكون أمامنا صورة متكاملة للمؤثرات الجديدة التي أحدثها الإسلام يجدر بنا أن نخص القرآن الكريم بجديت يبين أثر القرآن الفاعل والمهم في حياة الأدب العربي عبر العصور الإسلامية، وحتى أيامنا هذه، بل وسيظل هذا الأثر متجددًا في اللسان العربي وآدابه الى ما شاء الله.

من الناحية العقلية

لقد ارتقى الإسلام بعقل الإنسان، فخلصه من الأوهام والشعوذة والتخلف، إذ شجع على تحريك العقل واستعماله للكشف عن الأمور التي تدور حول الإنسان، وأول ما دعا الى التدبر في خلق الله: خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، والحيوان، والرياح، والشمس والقمر، والنجوم والمطر، وكل ذلك، ونبه الى أن ذلك لم يخلق عبثًا، فلا بد من خالق، ولابد من هدف، ويلاحظ كثير من آيات القرآن تنبه الى ذلك وكأنها تدعو الى تفكر الإنسان وإعمال عقله، يقول الحق سبحانه وتعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار" ومثله في قوله تعالى: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"، وغيرها كثير كلها تدعو الى التفكير، والتدبر في خلق الله.

ويتضح من ذلك أن القرآن يتجه الى العقل، والعمل به، في دعوته للتدبر في وجود الله وتنوع خلقه، وعظمة قدرته، فالقرآن يدعو المسلم أن يستغل عقله، ويدعوه للتأمل والنظر والحكم السليم، ويميز الإنسان صاحب العقل الذي يستغل هذه النعمة لتستقيم حياته ويحقق راحته الأبدية، وبالمقابل يعيب الإنسان الذي لا يستغل عقله، ويلقي عليه باللائمة، فيشبهه بالأنعام والدواب من الحيوانات، يقول تعالى: "لهم قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون" وإعمال العقل معناه الدعوة الى التعلم ورفع شأن العلم والعلماء، وتشجيع القراءة "اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" وقوله: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الأبواب" وللعلماء مكانة في المجتمع الإسلامي، فقد حملوا أمانة الدين، فكانوا مفسرين لآيات القرآن، مستنبطين

منها الأحكام بما يفيد الناس في أمور دينهم، فالتفقه في الدين من مسؤولية الفقهاء والعلماء والمفسرين، وعليه صار الاجتهاد بالرأي أصلاً من أصول الإسلام، حين لا يوجد نص مفسر في القرآن أو السنة.

العرب قبل الإسلام

كان العرب قبل الإسلام أمة ممزقة غير مجتمعة على كلمة، تكاد تغنيها الحروب والمنازعات وكانوا أمة جاهلة، تسودها الخرافة، وتتقاسمها العقائد الفاسدة، وكانوا أمة معظمها، يدين بالوثنية، ويسجد للحجارة، ويعبد آلهة متعددة لا تضر ولا تنفع، وكانوا يصنعون الأصنام من التمر أو الحلوى أو الخشب ويدلون لها ويخضعون، ويقدمون لها الذبائح والأطعمة ويلجؤون إليها ويدعونها من دون الله، وكان يقتل بعضهم بعضاً على أئفه الأسباب، وكانوا يقتلون أبناءهم خشية الفقر، ويئدون بناتهم دفعاً للعار، وغير ذلك مما يظهر لكل ذي عقل سليم بطلان ما كانوا عليه، وأما أشهر الأصنام التي كانت عندهم فهي اللات والعزى ومناة.

وعندما جاء الإسلام، حاربهم رسول الله محمد بن عبد الله وتابعيه، وأنتصر عليهم فحطم هذه الأصنام التي كانوا يعكفون عليها وذلك كان بداية عهد جديد، حيث يؤمن المسلمون أن الله بعث رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فوجد كثيرًا من الناس قد انحرفت فطرتهم سواء الفكرية أو الشعورية أو السلوكية، ومع ذلك استطاع أن يؤهل فطرتهم مرة أخرى فيحولوا دين إلى الإسلام، وترجع فطرتهم كما كانت، فيتحمل أحدهم التعذيب ويرى القتل أهون عليه من أن يسجد لصنم أو أن ينطلق بكلمة الكفر - مع قيام الرخصة للمكره ما دام قلبه مطمئن بالإيمان - وكم من واقع في الزنى - لم يره أحد - لما استيقظت فطرته جاء إلى محمد يقول له طهرني من الزنى - وهو يعلم أنه سيرجم حتى الموت - لأن عذاب الدنيا أهون عنده من عذاب الآخرة.

أثر الإسلام في العرب

إن أعظم الآثار التي تركها الإسلام في العرب هي إخراجهم من الظلمات إلى النور حيث قام بتوحيدهم ووضع نظام معيشة لهم كما كان للإسلام آثاره في نهضتهم في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية والمعرفية.

الآثار السياسية

كان العرب قبل الإسلام في مؤخرة الركب بين الأمم وذلك بسبب الحروب والمنازعات والعصبية القبلية التي كانت سائدة بينهم، ثم جاء الإسلام وجاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، النور من عند الله، فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وحملهم ما سماه برسالة الله إلى عباده، ووحدتهم تحت لواء واحد، فإذا الأعداء المتناحرون بالأمس يتحولون إلى جيوش موحدة يخفق

عليها علم الإسلام، وقد اتجهت تلك الجيوش إلى ميادين الفتوحات فأسقطت أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر، وهما فارس والروم، ثم تكونت الخلافة الإسلامية فأصبحت ذات نفوذ سياسي شامل، وأصبح للعرب دور مهم في العالم بما نشروا من دين وعلوم.

الآثار الاجتماعية والأخلاقية

اجتث الإسلام من العرب العديد من العادات التي كان سائدة وحرّم الخمر والميسر والمنافرة والمفاخرة وحرّم الربا أي الفوائد على الديون. كما أنه حاول قلب موازين المجتمع الجاهلي الذي كان يقيس الناس بأنسابهم، فطلب أن يجعل أكرم الناس أتقاهم، والزنجي التقى والعبد الحبشي أكرم من الهاشمي الكافر.

وقد حاول الإسلام بناء المجتمع على الإخاء والتضحية حيث ذكر القرآن: (إنما المؤمنون إخوة). كما وحسن الإسلام أوضاع وحقوق المرأة عما كانت عليه سابقاً فقد أعطاه دورها في بناء المجتمع الإسلامي حين أنقذها من عبوديتها، ومنع أدها، وكفل لها حق العلم واختيار الزوج والميراث، وكلفها ما كلف به الرجال من أمور الدين باستثناء بعض الحالات، القوامة.

الآثار الثقافية والعقلية

محا الإسلام بالقوة كل من الوثنية والكهانة والعرافة والطيرة والتشاؤم والتنجيم باعتبارها معتقدات باطلة، وأحل مكانها ما سماه بالتوحيد الخالص. وعندما فتح المسلمون العديد من الدول وانتشروا في الآفاق درسوا أحوال الأمم المغلوبة وعلومها واقتبسوا من حضارتها، فامتزجت العقلية العربية بتلك العقليات امتزاجاً عميقاً تولدت منه العلوم الشرعية، الفنون الأدبية، والحضارة الإسلامية التي طبقت الأرض مهدت لرقى الإنسان الحديث، كما حصل مع علماء بلاد فارس لاحقاً.

الآثار اللغوية والأدبية

أدب صدر الإسلام

اللغة والأدب مظهران من مظاهر الحياة المختلفة، ومن ثم فلا بد أن يكون للإسلام تأثير فيهما. أما اللغة فقد خلّد الإسلام اللغة العربية حين نزل القرآن بلسان عربي مبين حيث أن الله عز وجل ضمن لها ذلك الخلود حيث قال القرآن: (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) ويصر المسلمون على أن حفظ القرآن يستلزم حفظ لغته التي نزل بها. ومن أثر الإسلام في لغة العرب أنه جعلها لغة عالمية غير مقصورة على إقليم معين حيث يحرص كل مسلم على وجه الأرض على تعلمها، ليقراً بها القرآن في صلاته.

أما الأدب فكان بليغاً منذ قبل الإسلام مثال ذلك المعلمات وما شابه، ولكن أيضاً أثر الإسلام في الأدب من خلال القرآن والحديث حيث اقتفى الأدباء أثرهما، واقتبسوا من أسلوبهما. ومن أثر الإسلام في الأدب أنه أمدّه بكثير من الألفاظ التي لم يكن له عهد بها كالجنة والنار، والميزان الصراط، والبعث والنشور، والصلاة والزكاة، وأسماء الله الحسنى...

ولكن فرض الإسلام تحريم الشعر الذي يصف الخمر، وغيرها مما يتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال هشام بن الكلبي: كانت مناة أقدم من اللات فهدمه علي بن أبي طالب عام الفتح بأمر النبي، وكانت اللات أحدث من مناة، فهدمها المغيرة بن شعبة بأمر النبي لما أسلمت ثقيف، وكانت العزى أحدث من اللات، وكان الذي اتخذها ظالم بن سعد بوادي نخلة فوق ذات عرق، فهدمها خالد بن الوليد بأمر النبي عام الفتح.

العوامل الجديدة التي أسهمت في الحياة الأدبية

الأدب الإسلامي: هو عبارة عن تعبير فني يحمل الكثير من صور الجمال، وهو الأدب الذي ظهر في الفترة الممتدة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين، كما أنّ له تأثيراً كبيراً على غيره وهو نابع من ذات الإنسان المؤمن، إذ يُترجم كل مظاهر الحياة والكون في تلك الحقبة من الزمن.

كما ويُعبر عن الإنسان وفق أسس عقائدية ثابتة، وهو أدب فيه الكثير من المتعة يُحرك الوجدان والفكر، وهو عبارة عن نشاط إنساني يستوعب في ثناياه تصور الدين الإسلامي للكون والحياة والإنسان، ويبدو أنّ الالتزام بهذا التصور الإسلامي لتلك الحقائق الكبيرة جميعاً يختلف في نظرته عن باقي الاعتقادات السائدة في المجتمع. تجدر الإشارة إلى أنّ الأدب الإسلامي ظهر مع ظهور الإسلام وانتشاره، فقد أثرت مفاهيمه بشكل كبير على العقلية العربية والفنون الأدبية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، لا سيما أنّها متأثرة بفترة ما قبل الإسلام والأفكار والمعتقدات التي كان عليها الناس، يقول الله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ".

لكن بمجيء الإسلام خضع العرب خضوعاً عقلياً وفكرياً لأفكار الدين الإسلامي، فتولدت عنه مختلف العلوم الشرعية والفنون الأدبية ونشأت الحضارة الإسلامية التي امتدت لقرون طويلة وشملت مختلف أرجاء الأرض، حيث كانت شاهداً على بناء الإنسان الحديث.

ازدهرت الكتابة والأدب في صدر الإسلام بفضل عوامل مثل انتشار الإسلام والقرآن الكريم، الحاجة المتزايدة للكتابة والتوثيق

مع توسع الدولة وتدوين الوحي والحديث، ظهور فنون جديدة مثل الخطابة والرسائل لتلبية الاحتياجات الدينية والسياسية، والتأثير القوي للقرآن والحديث النبوي في صقل اللغة وتوجيه المحتوى الأدبي.

القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم، إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب، لقد أثار القرآن منذ اللحظة الأولى لنزوله دهشة العرب لما جاء به من جديد في أساليب التعبير، وطرائق النظم والبيان جعله يعلق بأفئدتهم وأسماعهم، ولا يملكون معه إلا التسليم بروعة أثره في النفوس وفي العقول. فقد جاء القرآن على أسلوب بلغ في نظمه وإحكامه مرتبة لا يسامى فيها، وهي مرتبة الإعجاز، فكان القرآن أروع مثال لفن القول عند العرب لما اجتمع فيه من ضروب الأساليب وخصائصها على نحو جعل العرب يقفون أمام روعة نظمه موقف الإعجاب والذهول والحيرة .

إن القرآن الكريم معجز وأن إعجازه يكمن في صميم بسقه، في طريقته في نظم الجمل، وتركيب الألفاظ، والملاءمة الدقيقة بينها وبين المعاني، ومراعاة الظروف، ومواقف الكلام، ومقتضيات الأحوال.

لقد جمع القرآن أسلوب الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، ويتضح هذا في قول أبي بكر الباقلاني: (فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه، لما جمع من وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجه وحسن موقفه من السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول).

إن أسلوب القرآن وجه من وجوه إعجازه، لم يستطع العرب محاكاته أيام النبي ولا بعده ذلك أن للقرآن نظامًا خاصًا في أداء المعاني التي أراد الله أن تؤتى إلى الناس، يرى الدكتور صلاح الدين الهادي أن للقرآن أسلوبًا بديعًا يخالف أسلوب العرب الذي ألفته في كلامها من تقطيع وتسجيع وترسل، لم يكن كشعرهم أو سجعهم الملتزم، ولا كنثرهم المرسل، وإنما هو آيات وفواصل لها مزاجها الخاص، ومنهجها المتفرد في الاتصال والانفصال، وفي الطول والقصر. والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم يجده نسيجًا في النظم والتأليف والنسق البيانية، متميزًا بطابع خاص من سائر الأساليب النثرية لا يدانيه أسلوب، أو يرقى إلى سموه بيان.

أثر القرآن في اللغة العربية :

للقرآن الكريم أثر عظيم في نفوس العرب، فهو الكلام المعجز الذي تحداهم في مجال التعبير والأفكار والمعاني والبلاغة مع ما عرف عنهم من البيان والفصاحة والتهذيب حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا أمة واحدة باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق، ولما عجزوا عن ذلك اتهموا الرسول بأنه شاعر كما اتهموه بأنه ساحر ومجنون، وهكذا تحداهم القرآن بأن يأتوا بعشر سور أو بسورة واحدة.

ومن آثار القرآن الكريم في لغة العرب:

1. أنه جمع العرب على لهجة واحدة وهي لهجة قريش، وعلى الرغم من أن لهجة قريش كانت منتشرة ولكنها لم تكن سائدة، فعمل القرآن على تقريب اللهجات العربية، وإزالة ما بينها من فروق، وجمعها على لهجة واحدة وهي لهجة قريش التي عليها نزل القرآن، وتحدث بها الرسول، فأصبحت السيادة للهجة قريش التي بها نزل القرآن، وأخذت هذه اللهجة تعم القبائل، ولما فتحت الفتوح ومصرت الأمصار أخذت هذه اللهجة تسود مشارق العالم الإسلامي ومغاربه أما أسباب اختيار لهجة قريش لغة للقرآن الكريم فهي :

أ- أنها اللهجة التي تحدث بها الرسول الكريم فهي لهجة قبيلته قريش

ب- أنها أفصح اللهجات العربية وأجملها

ت- أنها جمعت سمات وخصائص اللهجات العربية الأخرى

ث- إن معظم العرب كانوا يتحدثون بها ويعرفونها

2. حفظ اللغة العربية وضمان بقائها وخلودها، فالله عز وجل أخذ على عاتقه حفظ القرآن على مدى الدهر وهذا يعني حفظ لغة القرآن وهي العربية (إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالقرآن خالد ومحفوظ والعربية كذلك، فهي محفوظة ومصانة من خلاله وبسببه، بينما نجد لغات أخرى آلت إلى الضياع والاندثار كاللغة الإغريقية، والسنسكريتية، وحتى اللغات العربية القديمة لم يبق لها وجود.

3. انتشار اللغة العربية في أرجاء واسعة من الأرض، إذ ساهم القرآن بعد انتشار الإسلام في أصقاع الأرض، والحاجة إلى قراءة القرآن واستنباط الأحكام الشرعية والأمور الشرعية منه، والحاجة إلى قراءته كفريضة على المسلمين في الصلوات الخمس وفي غيرها، ساهم في انتشار اللغة العربية وأتاح لها الاتساع إذ أنها اللغة التي كتب بها القرآن .

4. إثراء اللغة العربية: إذ ساعد القرآن على نشأة علوم جديدة لم يكن يعرفها العربي، ولكنها نشأة وفق حاجة المسلمين لهذه العلوم من أجل فهم القرآن، وتدبر آياته واستنباط الشريعة منها فقد نشأة على هامش القرآن وبسببه ومن أجله، كعلم القراءات، والتفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم النحو والصرف، وعلوم البلاغة، وعلم الفقه وأصوله، ولا نبالغ إذ قلنا إن العلوم في العربية كلها إنما نشأة لخدمة القرآن ومن أجله .

5. القرآن هذب اللغة العربية من الألفاظ الغريبة والحوشية، فأقامها على الأسلوب القرآني الواضح الذي يخلو من الزوائد وفضول الكلام، فاللفظ على قدر المعنى، فهو لفظ لا يرتفع عن الإفهام ولا عن القلوب بل يقترب منهما حتى يلتصق الشغاف.

6. إضافة ألفاظ جديدة الى معجم اللغة العربية فأثراها بدخول ألفاظ تخص العبادات والأحكام الشرعية والفقه، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة، وكذلك بإضافة معان وأفكار ومضامين كلها مستمدة من القرآن ولا عهد للعرب بها من قبل.

أثر القرآن في الأدب :

لما كانت اللغة العربية هي المادة الأولية للشعر والنثر العربي فقد تأثر الشعر والشعراء والنثر وأصحابه بالقرآن الكريم شكلاً ومضموناً، فالأسلوب القرآني ببيانه وجزالته وبلاغته، وعذوبته هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره، فعلى هديه سار الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين ببدياحته، وحسن مخارج الحروف فيه، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها، وتجلي عن مغزاها مع المحافظة على الرهافة والحلاوة، ولا زال العرب يتحفظون به فهو معجمهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هداه اختلقت أمصارهم. يقول الجاحظ: (وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقعة)

أثر الإسلام في الشعر:

يتجلى أثر الإسلام في الشعر في جانبين: أولهما معنوي، وهو ما سبق وتحدثنا به من خلال الحديث عن اثر القرآن في اللغة العربية وما أحدثه من نهضة في لغة الشعر يشار إليها بالبنان، فقد فرضت لغة القرآن نفسها على ما سواها من لغات فكان لها الثبات أمام التقلبات والمحن، وكان لها التطور والازدهار على مر الزمن، ولأن اللغة هي مادة الشعر فلا بد أن يزدهي الشعر ويسمو ويتنقى، فقد عمل الإسلام على نفاء موضوعات الشعر والنثر والابتعاد بها عن كل ما لا يناسب خلق الإسلام ومبادئه، فأصبحت نقية سامية تخدم المثل والقيم الجديدة، ولم يعد الأدب وسيلة لخدمة القبيلة إنما لخدمة الإسلام وأهدافه، وصار الأدب والأديب متأثرين بالإسلام وما جاء في القرآن الكريم من ألفاظ ومعان ومضامين كما نجد أن الشعر في ظل الإسلام ارتقى الى السهولة والوضوح، وابتعد عن الألفاظ النابية والغريبة، أما العواطف فباتت واضحة صادقة خالية من الكذب والمبالغة، إذ يقول

الشاعر والأديب ما يؤمن به ويراه حقيقيا أما الجانب الآخر فهو الجانب المادي والمتمثل بالألفاظ والمعاني، والصياغة والأسلوب، وفي موضوعات الشعر وفنونه.

فمن حيث المعاني نجد الشعراء تأثروا بمضامين ومعان إسلامية وعبروا عنها بألفاظ مستوحاة من واقع الحياة الإسلامية الجديدة والقرآن الكريم، مثال ذلك ما جاء من شعر عبد الله بن الحارث في أثناء هجرته إلى الحبشة، يقول:

وتلك قريش تجحد الله حقه كما جحدت عاد ومدين والحجر

ويقول واصفًا حال المسلمين في هجرتهم، وعدوان قريش وما يلقاه المسلمون من عذاب على أيديهم:

كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون

أنا وجدنا بلاد الله واسعة تتجي من الذل والمخزاة والهون

أنا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وغالوا في الموازين

وتبدو روح الإسلام واضحة في هذا اللون من الشعر من حيث الفكرة، وأسلوب التعبير عنها والألفاظ المنتخبة للتعبير عن ذلك.

وبذات الشعور الديني المفعم بالأمل والفرح حيث الهداية للإيمان والدين الحق يقول عمرو بن الجموح يتنكر لضمه مناة الوثن المعبود، ويشكر الله الذي أنفذه من الضلال والشرك، فيقول:

الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين

وتبدو روح الفخر الإسلامية واضحة في أقوال الشعراء، فهذا أبو أحمد بن جحش يرد على زوجته التي لامته على الهجرة قائلا:

إلى الله وجهي والرسول ومن يقيم إلى الله يوما وجهه لا يخيب

ويفخر على قومه الذين ظلوا على الشرك، ويرى بأنه الفريق المهدي الذي اتبع قول النبي فيقول:

كفوجين أما منهما فموفق على الحق مهدي وفوج معذب

ورعنا إلى قول النبي محمد فطاب ولآه الحق منا وطيبوا

وكثيرًا ما يفخر الشعراء بنصر النبي على أعدائه ومساندة الدين الجديد والأيمان به، وكان هذا بديلا عن الفخر الجاهلي بالآباء

والأجداد والأماجد والأموال، يقول أبو قيس الأنصاري مفتخرا بما من الله عليه بالإسلام :

فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

ونعلم أن الله لا رب غيره وأن كتاب الله أفضل هاديا

فوالله لا يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وقد اتجه الشعراء الى أسلوب الحجاج العقلي القرآني بدل أسلوب اللجاج الجاهلي في محاججتهم لكفار قريش، وهذا عبد الله بن

جحش يرد على قريش حين قالت: أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، فأجاب مناقضاً:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد

وكما تأثر الشعراء بالقرآن تأثروا بالحديث النبوي، وهذا حسان بن ثابت يستعين بقول الرسول حينما خاطب قتلى بدر من المشركين

مضمنا قول الرسول لهم: (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) إذ يقول:

ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب

وفي الأغراض الشعرية بدأ الشعراء يسلكون مسلكاً جديداً ينسجم مع معتقدهم الجديد، وخلقهم الإسلامي، فحين يتوجه الشاعر

بالرثاء فإنه يتخلى عن التفجع والندب والنواح مستبدلاً إياه بالصبر والثبات والإيمان بالقضاء والقدر، وتعداد المناقب، وهذا ما

قاله حسان بن ثابت حين رثى الرسول:

يدل على الرحمن من يقتدي به وينفذ من هول الخزايا ويرشد

عفو عن الزلات يقبل عذرهم حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

وفي مدحه (صلى الله عليه وآله وسلم) يميل الشعراء الى الاعتدال والصدق مبتعدين عن المبالغة والكذب والغلو، وفي ذلك يقول

العباس بن مرداس يمدح الرسول:

أميناً على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا

ويخرج المجاهدون استجابة لأوامر الله لحروب الفتح الإسلامي، ويعبرون عن ذلك بشعر يتضح فيه التطوع والانقياد لأوامر الله

والامتناع عن نواهيه، يقول النابغة الجعدي محاوراً ابنة عمه:

يا ابنة عمي كتاب الله أخرجني طوعاً وهل أؤمن الله ما فعلاً

ماكنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

وهكذا يتبين لنا تأثر الشعر بالإسلام تأثراً مادياً من حيث المعاني والأساليب والألفاظ والمضامين.

أثر الحديث النبوي في اللغة والأدب

الحديث هو كل ما روي عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير، وهو بذلك ليس جميعه أقوالا للرسول، بل منه ما يسمى آثارًا، وهو ما رواه الرواة حكاية عن خلقه، أو عمله أو شأن من شؤونه .

وأهمية الحديث ترجع الى أن القرآن يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل والرسول هو الذي يفصلها ويوضحها، فالقرآن مثلا لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهي من أهم أركان الإسلام بل اكتفى بقوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) والحديث فصل ذلك فحدد أوقات الصلاة وعددها وكيفيةها كما فصل القواعد والأسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة وتوزيعها .

والحديث معظمه كلام الرسول، وعلى الرغم من أنه عليه الصلاة والسلام كان أميا لكنه كان أفصح العرب لسانا لقوله (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) أي لأنني من قريش، وقال: "بعثت بجوامع الكلم"، وقال - عليه الصلاة والسلام - حينما سؤل عن فصاحته، وأدبه: " أدبني ربي فأحسن تأديبي".

وأحاديث الرسول آية في البلاغة والفصاحة ومن الجدير بالذكر أن أحاديث الرسول لم تصل إلينا كاملة بألفاظها إنما وصل البعض منها بمعناها، ولعل هذا من أهم الأسباب التي دفعت علماء النحو الى عدم اعتماد الحديث في الاستشهاد النحوي، ومصدر لتدوين اللغة ومفرداتها وهذ بالتأكيد ليس طعنا بالحديث ولكن بسبب وصول الحديث بالمعنى لا باللفظ لذلك لم تصلح كمادة للشواهد النحوية واللغوية، ومع كل هذا فإن هذا لا ينفي قيمتها وأهميتها مصدرا للتشريع والفقهاء الإسلامي، فضلا عن قيمتها الجمالية والأسلوبية كونها كلام الرسول عليه الصلاة والسلام أفصح العرب وأكثرهم بيانا وبلاغة، فلأحاديث الرسول قيمة أسلوبية جمالية تعبيرية لغوية فهي إذن مصدر في إمداد اللغة العربية بالدلالات التعبيرية.

الحديث النبوي من أهمية وتأثير في اللغة والأدب :

- أمد اللغة العربية بطاقة كبيرة من الألفاظ والمعاني التي لم يسبق استعمالها، ففيه فيض من الألفاظ الغنية الثرة والألفاظ المرتجلة (أي التي اكتسبت دلالات جديدة لها في الاستعمال القرآني والنبوي وهي ليست بجديدة) كالصلاة والفرقان والكفر فهي موجودة في الجاهلية ولكن دلالاتها تغيرت في الإسلام.
- ساعد في انتشار اللغة العربية وحفظها من الضياع كما فعل القرآن الكريم.
- المساهمة في تشذيب اللغة وتهذيبها وتنقيتها من الغريب.

- ساهم الحديث في نشأة علوم جديدة كلها أغنت اللغة العربية لأنها ألقت فيها كعلم جمع الحديث، وتفسيره، وعلم الجرح والتعديل، وعلم طبقات المحدثين ودراسة السيرة النبوية، وسيرة المحدثين.

أما أثر الحديث في الأدب العربي شعراً ونثراً فهي لا تختلف عن أثر القرآن الكريم، إذ عمل الحديث على الارتقاء بلغة الشعراء والخطباء والكتاب وأساليبهم في التعبير والاقتداء بالجوانب البلاغية والبيانية للرسول الكريم في أحاديثه، كما عملت الأحاديث على إمدادهم بالمعاني والمضامين الجديدة في التعبير، كما جعلت الأحاديث لغتهم واضحة سهلة رقيقة معبرة وخلصتها من الغريب المتنافر.

مصطلح النثر أو "النثر الفني" العربي:

النثر أحد قسمي القول، فالكلام الأدبي كله إما أن يصاغ في قالب الشعر المنظوم وإما في قالب القول المنثور. ولابن رشيق المسيلي القيرواني وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديدة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، لم يكن لإحدهما فضل على الأخرى، وإن كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية.

ويشرح ابن رشيق أن أصل التسمية في المنظوم وهي من نظم الدر في العقد وغيره، إما للزينة أو حفظاً له من التشتت والضياع، أما إذا كان الدر منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به، من هنا حصلت عملية تشبيه الكلام الأدبي بالدور والمجوهرات وتوهم الناس أن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. وذلك بالنظر إلى سهولة حفظ الكلام المنظوم واستظهاره بسبب الوزن، وانعدام الوزن في الكلام المنثور يجعله عرضة للنسيان والضياع، وذلك في وقت كان الناس فيه يتداولون النصوص الأدبية مشافهة دون الكتابة في هذا العصر الجاهلي والإسلامي الأول، وقد زال هذا التفاضل في عصور التدوين وكتابة النصوص كما في زماننا الحاضر، بحيث اختص كل من النثر والشعر بمجالات في القول تجعله أليق به.

ويعتقد ابن رشيق محقاً: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، وهو يقصد بذلك تلك الحقبة الزمنية قبل الإسلام وبدايات العهد الإسلامي تخصيصاً، وجاء هذا ردّاً كافياً على الذين ينفون وجود نثر فني عربي جيد قبل الإسلام، وإنما كان ضياع ذلك النثر الجاهلي أو اختلاطه بسبب طبيعته الفنية الخالية من الوزن.

وهو لم يعن بذلك إلا النثر الفني أي الأدبي الذي يتوفر - كما ذكر بروكلمان - "على قوة التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم". أما النثر الاعتيادي الذي يستعمل بين الأفراد في التداول اليومي الغرض الاتصال

وقضاء الحاجات والثرثرة مما ليس فيه متانة السبك والتجويد البلاغي ولا قوة التأثير فلا يعتد به، وليس له قيمة اعتبارية في الدراسة الأدبية.

من فنون النثر العربي "الخطابة"

الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وقد كان يخطب في قريش كثيرًا يدعوها إلى دينه الحنيف، والدخول في طاعة الله ومحبته، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعديد. وبذلك عرف العرب ضربًا منظمًا من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية، إذ كانت خطاباتهم اجتماعية، وكانت تدور غالبًا على المنافرات والمفاخرات، وقد دعا الإسلام إلى نبذ التفاخر، والتكاثر بالأحساب والإنسان، ومن ثم اختفى من حياتهم هذا اللون من الخطابة. وتحفظ كتب الحديث الصحيحة بتقاليد الرسول صلوات الله عليه في خطابته سواء في صلاة الجمعة، أو صلاة العيدين، إذ كان يخطب في الصلاتين خطبتين يجلس بينهما، وكانتا تدوران على تبين ما شرع الله لعبادة في شئون دينهم ودنياهم، وما ينبغي أن يسود مجتمعهم من مثالية خلقية رفيعة، ومن روابط اجتماعية وثيقة، وبجانب ذلك كان الرسول يخطب في الأحداث، وعند المناسبات.

ومن المحقق أنه خلف تراثًا ضخماً من الخطب، غير أن ما احتفظت به كتب الأدب والتاريخ من ذلك قليل، ولا ترجع قلته إلى قصر خطبه، فقد كان يطيل خطبه أحيانًا، وفي بعض المناسبات إلى ساعات يعظ الناس ويدعوهم إلى التفكير في الكون، وخالقه، ومدبره. وأكبر الظن أن خطبة أصابها ما أصاب خطب الجاهلية، فإنها لم تدون لحينها، وبعد العهد بين عصرها وعصر تدوينها، ومع ذلك فقد احتفظت ذاكرة الرواة ببقايا منها تحمل لنا خصائصها، من ذلك أنه خطب بعشر كلمات: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس! إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم، إن المؤمنين بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبرة، ومن الحياة قبل الموت. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار."

والخطبة على قصرها توضح لنا كيف كان الرسول يعظ أصحابه، ويدفعهم دفعًا إلى العمل الصالح، قبل أن يلبوا داعي الموت، فتبور تجارتهم، ويذهب هباء عملهم، وإنهم لمعروضون على ربهم، فموفون حسابهم، فأما من اتبع هدى الإسلام، فمصييره

الجنة إلى وصفها القرآن الكريم فأسهب في وصفها، وأما من أعرض وتولى، ولم يذكر اسم ربه ولا صلى، ولا أخلص عمله لوجهه، فمصيره النار التي أطنب القرآن في بيان عذابها.

ولم تكن خطبه مواظ فحسب، بل كانت أيضا تشريعا، وتنظيما لحياة هذه الأمة التي أخرجت للناس في خير مثال، تأمر بالمعروف، وتتنهى عن المنكر، ويتعاون أفرادها على البر والخير مما فيه صلاحهم وصلاح مجتمعهم، ولعل خير خطبة تشريعية تصور كيف كان ينظم هذا المجتمع الروحي، ويرسي قواعده خطبته في حجة الوداع، وهي تمضي على هذا النحو:

"الحمد لله نعمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم، عباد الله، بتقوى الله وأحكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد، أيها الناس! اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا. أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد."

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدا به ربا عمي العباس بن عبد المطلب - وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدا به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس! إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق. لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكةونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد."

أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لأمرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

"أيها الناس! إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز وصية لوارث في أكثر من الثلث، والوالد للفراس وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

وواضح أن الخطبة تبدأ بحمد الله، واستغفاره والتوبة إليه والاستعاذة من شرور النفس، وسيئات العمل ونقائصه، وتقترن بالشهادتين، وتوصية المسلمين بعبادة الله وطاعته، كما تقترن بكلمة "أما بعد". ويمضي الرسول عليه السلام فيبين أن دماء المسلمين حرام كأموالهم، فلا قتل ولا نهب ولا سلب، فقد انتهى قتل النفس المحرمة، وانتهى قطع الطرق، وانتهت الخيانات بجميع ضروبها، فمن كانت عنده أمانة لا يخنها، بل فليؤدها مستوفاة إلى صاحبها، إنه مجتمع ديني جديد، تتوثق فيه الروابط، فلا ربا ولا أخذ بثأر، وقد تداعت مآثر الجاهلية سوى سدانة الكعبة وسقاية الحجيج، فهما مآثرتان ضروريتان للجماعة، وهما لذلك باقيتان، أما شريعة الأخذ بالثأر التي كانت قوام حياتهم في الجاهلية، فقد قضى عليها الإسلام، إذ جعل حق الدم للدولة، فالقاتل المتعمد تقتله الدولة بصاحبه، أما من قتل خطأ فديته مائة ناقة لا تزيد. ويخوفهم الرسول من الشيطان، وما يدعو إليه من الشرور فقد انتهت عبادته، ولكن لم تنته أطماعه في تضليل الناس عن الجادة. وأيضاً فإنه انتهى عهد التلاعب في الدين، وفي الأشهر الحرم.

ولا ينظم الرسول العلاقات بين الفرد، وجماعته الكبرى من الأمة فحسب، بل ينظمها أيضاً بينه وبين جماعته الصغرى من الأسرة، فيدعو إلى رعاية حقوق المرأة، وأن يعاملها الرجل برفق ورحمة، وقد رفع الإسلام من شأنها، ووضعها في المكان اللائق بها، فكفل لها حرية التصرف في مالها كما كفل لها حق اختيار زوجها.

ويدعو الرسول إلى دعم الروابط بين أفراد الأمة، فالمسلمون جميعاً إخوة متساوون في الحقوق والواجبات، لا غني ولا فقير ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي، ولا فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح. ويشير إلى ما شرعه القرآن من نظام التوريث الجديد، ويقرر أن المورث لا يحق له أن يحرم ورثته من ماله، ويعطيه شيئاً من الحرية، فيجعل له الحق أن يوصي لورثته ببعض ماله،

ولكن على ألا يزيد عن ثلثه، ويعرض لمشكلة كبرى من مشاكلهم، هي الأبناء غير الشرعيين الذين ولدوا في الجاهلية، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكان من عادتهم أن ينسبوا إلى غير آبائهم، فقضى على تلك العادة السيئة حفظاً للأنساب.

وعلى شاكلة الخطبتين السالفتين كانت خطابة الرسول، فهي إما موعظة حسنة وترغيب وترهيب، وبيان لمسئولية المسلم الخلقية وأنه محاسب بين يدي ربه عن كل ما قدم في حياته، وهو يضح ذلك أمام عينيه ليصلحه، ويقوم نفسه ويسمو به في مراقي الكمال، وإما تشريع وتنظيم لمجتمعه، وما ينبغي أن يسود فيه من عوامل الخير ودواعيه، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فلابغي ولا عدوان، بل تآزر وتعاون في قيام هذا المجتمع السليم.

ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته -كما كان في حديثه- لا يستعين بخلافة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور، وترتاح إليها الأسماع والأفئدة، فتجتمع لها النفوس المتباعدة الأهواء، وتساق إليها بأزمته، إذ تلتحم بمعانيهم وما تدعو إليه من سبيل الرشاد، وهي -بلا ريب- مثل أعلى في البراعة والدقة، ونقصد دقة الحس ولطف الشعور، ولعل مما يدل على ذلك قوله: "لا يقولن أحدكم: خبيث نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي"، فقد كره أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه. ونؤمن بأن هذه العناية بحسن منطقه لم تكن نتاج تحبير، أو تكفير إنما طانت نتاج ما خوله الله من نعمته في بيانه الرائع.

وليس في خطبتي الرسول السالفتين سجع، ومن المؤكد أنه لم يكن يستخدم السجع في خطابته، بل كان ينفر منه بسبب استخدام الكهان له في الجاهلية، ولذلك صد عنه كما صد عنه خلفاؤه. روى الطبري أن عمر بن الخطاب، سأل صحاراً العبدى البليغ المشهور عن مكران الفارسية أثناء غزو المسلمين لها، فقال صحار: "يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جبال، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، إن كثر الجند بها جاعوا، إن قلوا بها ضاعوا، فقال عمر: أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال صحار: بل مخبر. وواضح أن عمر أنكر عليه استخدامه للسجع في كلامه. ويروي الرواة أن عبد الله بن الزبير تكلم بكلام مسجوع عند معاوية، فقال له: "تعلمت السجاعة عند الكبر"، وفي أخبار معاوية أنه كتب إلى رجل كتاباً، فأملى على كتابه: "لهو أهون علي من ذرة، أو كلب من كلام الحرة"، ثم استدرك قائلاً لكتابه: "امح من كلاب الحرة، واكتب من الكلاب". فالخلفاء كانوا يكرهون السجع لنهي الرسول، صلوات الله عليه عنه. وليس معنى ذلك أنه انمحي محواً من خطابة هذا العهد، فالجاحظ يقول: "كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة"، ومن يرجع إلى

حروب الردة يرى بعض المتنبئين مثل مسيلمة الكذاب يتكهنون، ويسجعون في كهانتهم، وكان مسيلمة خاصة "يسجع السجاعات، ويقولها مضاهيا للقرآن"، ويقول الجاحظ: إنه "عدا على القرآن فسلبه، وأخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه".

وقد انتهت هذه الموجة من سجع المتنبئين بانتهاء حروب الردة، ولكن السجع بعامة لم ينته معها تمامًا، فقد ظلت الخطباء تسجع بين يدي الخلفاء على نحو ما يلاحظ الجاحظ.

وإذا نظرنا فيما أثر من خطب عند أبي بكر الصديق، ومن تبعه من الخلفاء الراشدين، وجدناهم يقتدون بالرسول في خطاباتهم، فهم لا يستخدمون السجع فيها، وهم يفتتحونها بحمد الله، وتمجيده والصلاة على رسوله ويوشونها بآيات من القرآن الكريم، وبعض أحاديث نبيه العظيم، مستمدين من هذين الينوعين الغزيرين في وعظهم، وفيما يسوقونه من وصايا وتعاليم. وكان الصديق في الذروة من البلاغة ومن البيان والفصاحة، ومن خطبة له:

"إلا إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك: ألا إن الفقراء هم المرحومون، ألا وإنكم اليوم على خلافة النبوة، ومفرق المحبة، وإنكم سترون بعدي ملكًا عضوضًا، وملكًا عنودًا، وأمة شعاعًا، ودما مفاخًا، فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، وتحيا بها الفتن، وتموت لها السنن، فالزموا المساجد واستثيروا القرآن واعتصموا بالطاعة، ولا تفرقوا الجماعة".

وكان كثيرًا، ما يخطب في الجيوش الخارجة إلى الغزو، فيوصيها ويوصي قاداتها باتباع هدى الإسلام، وبالجهاد في سبيله وله وصية مشهورة يوصي فيها عمر حين استخلفه عند موته بنقوى الله، واتباع الحق حتى لا يلقي بيده إلى التهلكة، وهو في كل ما أثر عنه يحسن اختيار لفظه، في أسلوب مرسل يشف عن دقة حسه، ومعرفته بمواضع الكلم، ولعل مما يدل على ذلك أنه مر برجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فقال: لا، عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله".

وكان عمر بن الخطاب مثل صاحبه في الأفق الأعلى من روعة البيان والخطابة، وله خطب تدور في كتب الأدب والتاريخ نكتفي منها بهذه القطعة: "اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور، إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة، أورثت حزنًا طويلًا".

ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على نهضة الخطابة في هذا العصر الأول من عصور الإسلام، إذ أتيح لها من نبوة الرسول، ورسالته وبيانه وبلاغته ما اتخذ خلفاؤه الراشدون لهم إمامًا، وفرق بعيد بين خطب هذا العصر، وخطب الجاهلية، فالأخيرة جمل وصيغ لا رابط بينها تأخذ في الأكثر شكل حكم متناثرة، يسردها الخطيب سردًا، أما في هذا العصر، فقد أصبح للخطبة غاية

دينية واضحة تسمو بالعربي في مراقي الفلاح الروحي، وقد تخوض في تنظيمات حربية أو اجتماعية، وكل ذلك معناه أنها أصبحت ذات موضوع تدور عليه، وأنها رقيت رقيًا بعيدًا.

من فنون النثر العربي "الرسالة"

لقد تقاسم النثر الفني في العصور القديمة جنسان أدبيان هما: الخطب والرسائل؛ فإذا ما ذكر، انصرف الأذهان إليهما دون غيرهما نظرًا لما يتميزان به من حضور متميز، وما يتبوأنه من منزلة رفيعة بين أجناس الأدب وفنونه؛ هذا بالإضافة إلى ما اضطلعا به من أدوار ووظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والإدارية.

وهكذا يندرج ضمن هذا النثر الفني ما يصطلح عليه بأدب الرسائل الذي يشكل جنسًا أدبيًا قائمًا بذاته، إذ تنضوي تحته هو الآخر أنواع من الرسائل المختلفة أسلوبًا وموضوعًا، والمتنوعة غرضًا ومقصداً، والمتفاوتة جمالًا وتأثيرًا. هذا فضلًا عما راكمه "أدب الرسائل"، عبر مراحل تطوره، من قواعد ومعايير وخصائص؛ ومن ثم أصبحت الرسالة صناعة ذات قواعد وأصول.

إن الكتابة في عصر صدر الإسلام استخدمت على نطاق واسع، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يستخدمها في جميع موثيقه وعهوده، وقد احتفظت كتب الأدب والتاريخ على الكثير من هذه الكتب، فمن هذه الكتب كتابه حين نزل المدينة بين المهاجرين والأنصار، واليهود المقيمين في المدينة، ومن هذه الكتب أيضا المعاهدة التي كانت بينه وبين قريش في صلح الحديبية، وكذلك كتابه إلى يهود خيبر، وكتبه الأخرى إلى ملوك الأرض، كهرقل ملك الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، والمقوقس والنجاشي يدعوهم فيها إلى الإسلام والتصديق برسالته، كما كتب إلى الأمراء الذين أبقاهم على إماراتهم في اليمن، وكذلك عهوده التي كان يرسلها مع من يعلمون الناس في شؤون دينهم، كل ذلك يؤكد أن الكتابة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتسعت وأصبحت تؤدي تعاليم الدين الحنيف، وكل ما فرضه الإسلام من معان إسلامية .

ولما تولى أبو بكر الخلافة ارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام، فجدد الجيوش لردهم إلى الإسلام، وكان يبعث مع كل قائد كتاب مفتوح يدعو فيه الناس إلى الاعتصام بدين الله، كما كان يكتب للأمراء الأجناد العقود والمواثيق .

وهكذا أدت الكتابة دورها الهام في توطيد الدولة الإسلامية منذ نشأتها حتى استقرار الأمر، فكانت وسيلة من وسائل نشر الدعوة

وإرساء قواعد الدين الجديد .

عوامل ازدهار الكتابة في العصر الإسلامي

٢ -كتابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عهود الأمان والمعاهدات كما كان يكتب الأمراء والملوك من العرب وغيرهم يدعواهم إلى الإسلام.

٣- كتابة التي تخص أمور المسلمين وتنظم حياتهم، مثل (وثيقة المدينة) وهي التي كتبها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فور وصوله إلى المدينة المنورة، وهي الوثيقة التي تنظم العلاقات بين جميع الطوائف الموجودة في المدينة، وهي تمثل أول دستور مدني في التاريخ.

الرسالة الفنية: المفهوم والشروط

تتضمن الرسالة، لغة، معنى التوجيه؛ ففي "لسان العرب": "الإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليهم، والاسم الرسالة والرسالة والرسول والرسيل".

وفي كتاب "كشف اصطلاحات الفنون" يقول التهانوي عن الرسالة: "الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية والفرق بينها وبين الكتاب على ما هو المشهور إنما بحسب الكمال والنقصان فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير الكامل فيه".

للمرسالة، إذن، معنيان: أصلي واصطلاحي؛ الأول يستفاد منه أن الرسالة هي الكلام أو الخطاب الذي يوجه إلى الغير. أما من حيث المعنى الاصطلاحي، فالرسالة تصبح دالة على البحوث أو الدراسات العلمية التي تتناول قضايا محددة في اللغة، أو الأدب، أو الفقه، أو الفلسفة، أو غيرها من المجالات.

ومعنى هذا أن للرسالة في الأدب والفكر العربيين دلالات ثلاثاً: دينية شرعية، وعلمية، وأدبية، غير أننا سنركز على دلالاتها الأدبية والتداولية؛ وفي هذا الإطار يقول صاحب "صبح الأعشى" عن الرسائل: "وهي جمع رسالة، والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حال من عدو أو صيد، أو مدح أو تقريض، أو مفاخرة بين شيئين... وسميت رسائل من حيث إن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال".

تعد الرسالة في الأدب العربي من أكثر المفاهيم عمقاً وتنوعاً، ومهدت الطريق لتطور الكتابة الأدبية عبر العصور. يعود مفهوم الرسالة إلى الجاهلية، حيث كان الشعراء يعبرون عن أفكارهم ومعتقداتهم من خلال القصائد، مستفيدين من قوة اللغة وقدرة الكلمة على التأثير. وقد كان للشعراء في ذلك الوقت دوراً كبيراً في تقديم الرسائل الاجتماعية والسياسية والدينية، نذكر منهم أمرو القيس، الذي استخدم شعره للتعبير عن مشاعره وتنقلاته وتجربته الشخصية.

مع بداية ظهور الإسلام، تغيرت طبيعة الرسالة الأدبية، وتناول الكتاب موضوعات جديدة تتعلق بالإيمان والدعوة والتوجيه. من بين الكتاب البارزين في هذه الفترة، أبو العلاء المعري، الذي قدم رسائل فلسفية ودينية تمتاز بالعمق والتفكير النقدي. استخدم المعري الأدب كوسيلة للبحث في معاني الحياة والوجود، حيث أصبحت رسائله تعكس تعقيد الفكر الإسلامي.

في العصور الوسطى، برزت الرسالة الأدبية كوسيلة لنقل المعرفة والثقافة، حيث كتب كبار المفكرين مثل ابن رشد وابن سينا رسائل تعكس الفلسفة والعلم. تلك الكتابات كانت محوراً رئيسياً لنقل الأفكار من الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

تلعب الرسالة الأدبية دوراً مهماً في الأدب العربي، إذ تعتبر وسيلة لنشر الوعي الثقافي والفكري. فرضت الحاجة إلى التعبير عن الآراء والأفكار في المجتمعات العربية تاريخياً، مما أدى إلى إنتاج مجموعة متنوعة من الأعمال الأدبية التي تسهم في تشكيل تصورات وثقافات متعددة. من خلال الأعمال الأدبية، يتم توصيل الرسائل التي تعكس الهوية العربية، مما يمكن القراء من فهم التحديات والانتصارات التي تواجه المجتمع.

انتشرت الرسائل في العصر الإسلامي رغبة في نشر الدعوة الإسلامية وتحقيقها، ومن خصائصها في العصر الإسلامي أنها: رسالة تهدف إلى الإفهام والتوضيح من دون تجميل، وهي تستخدم الصراحة في الأسلوب، وبسيطة تراكيبيها اللغوية، فضلاً أنها ذات فكرة محكمة، ومن الأمثلة عليها: كتاب الصلح الذي كان بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين قريش عقب صلح الحديبية.

وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . للدعوة إلى الإسلام، وكان يدرك أهمية الرسائل، ولذلك اتخذ كتاباً يدونون القرآن، ويحبرون الرسائل منهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وزيد بن ثابت وخالد بن سعيد (رضي الله عنهما). وفي هذا العصر نشط فن الرسائل نشاطاً واسعاً فاستخدمت كوسيلة فاعله في نشر الدعوة الإسلامية، إذ كتب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسائل إلى رؤساء القبائل العربية يدعوهم إلى الإسلام، كما كتب إلى الملوك والحكام مثل كسرى والمقوقس وهرقل والنجاشي وكان ذلك في سنة ٦ من الهجرة.

وقد تعددت أغراض الرسائل، فلم تعد رسائل للدعوة فقط، وإنما ظهرت الرسائل الحربية والإدارية والسياسية والقضائية والاجتماعية كالتي كانت تعبر عن الشوق أو العتاب أو التعزية أو الرثاء أو الوصف أو طلب الحاجات وغيرها.

عوامل ازدهار فن الرسائل في العصر الإسلامي

- اتساع حدود الدولة الإسلامية

• ضرورة الاتصال بين أرجاء الدولة الإسلامية.

• اتحد الإسلام من الكتابة دعامة من دعائمه، كذلك تشجيع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على تعلم الكتابة بطرق

مختلفة

أنواع الرسائل

• الرسائل الحربية: وهي الرسائل التي تعالج شؤون الحرب والاستنفار وتولية القادة وأمرأه الأجناد وعزلهم وكل ما تقتضيه

أمور الجهاد والحرب.

• الرسائل السياسية: وهو نوع من الرسائل يعالج فيها أمور الدولة السياسية فنجدها تقوم على الدليل والحجة.

• الرسائل الإدارية: تتناول هذه الرسائل الأسس التي ينبغي أن يتبعها الولاة في إدارة أمور الولاية مثل الشؤون المالية

وشؤون الأراضي وقد لا تخلو من الوعظ والإرشاد.

السمات الفنية للرسائل

١ - ابتداء الرسائل والكتب بعبارة البسملة، وهذه سمة فنية وفكرية ميّزت رسائل هذا العصر عن عصر ما قبل الإسلام، فهي لم تكن موجودة في مكاتبات عصر ما قبل الإسلام.

٢ - ذكر حمد الله والثناء عليه بعد البسملة، وهذه أيضا سمة فنية فكرية ارتبطت بفكرة التوحيد أيضا ووجوب ذكر الله وحمده وشكره، وقد ورد التحميد في كتابه (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجدر الإشارة إلى إن التحميد في معظم رسائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متشابهة وقصيرة لا تتجاوز العبارتين أو الثلاث.

٣ - كثرة الاقتباس من القرآن الكريم وإيراد الآيات المباركة المعبرة عن الموقف المعزز للفكرة التي تقوم عليها الرسالة، وقد ورد هذا في وقت مبكر في الرسائل التي تبادلها الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم . مع اليهود والنصارى.

٤ - الإيجاز المعبر عن الفكرة والموقف بألفاظ مباشرة قصد منها الإفهام والتبليغ، لذلك وردت الألفاظ الإسلامية المصورة لمبادئ الدين والدعوة في نصوص رسائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المبكرة.

٥ - الخلو من المبالغة ولتهويل والزخرف.

٦ - تصور الرسائل المستوى الفكري المتفتح الذي بلغه الفكر العربي الإسلامي، من خلال ما تعرضه من محاجة ومحاوله للإقناع، واعتماد البرهان والحجة في عرض الفكرة بأسلوب واضح بليغ، ويصدق هذا على معظم رسائل عصر صدر الإسلام.

أما عناصر الرسالة فهي: المقدمة، العرض، والخاتمة.

نص من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ١ - ٣.

سورة الكوثر سورة العطاء والتكريم والمقام الرفيع والتشريف للرسول صلى الله عليه وسلم وهي ثلاث آيات قصار انتهت بحرف الراء حرف التكرار الذي يوجي بتكرار العطاء، وتتابع نزول الخير فاسم السورة الكوثر، وهو مبالغة في الكثرة، فالعرب تسمي كل شيء كثير في القدر والحظ كوثرا، بدأت السورة بأسلوب التوكيد (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) الذي يوجي بثبوت ذلك العطاء، وتأكده، وكثرته وسعته وضخامته ونسبة العطاء إلى الله تكفي؛ لأن العقل لا يتصورها بسبب كثرتها، وتتوعها وتعددتها، فقد أعطاه الله من الفضائل والنعماء والخيرات ما لا يدركه العقل؛ أعطاه النبوة والكتاب والحكمة وفصل الخطاب، والعلم والشفاعة والحوض المورود، والمقام، وكثرة المؤمنين والتمكين والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوحات وكل ما أعطاه الله لرسوله من النعم العظام والمنن الجسام. و "نا" في (إنا) تفيد العظمة والكمال، والحديث بها يأتي في الأمور الكبار والنعم الغزار، فناسب الموقف، وسعة الغطاء استعمال (نا) المفيدة للجمع الدال على التعظيم، فلم يقل: (إني أعطيتك) كما قالها في مقامات أخرى: (إني أنا ربك) [طه: ١٢]، (وإني أنا الله) [طه: ١٤].

أعطيناك صيغة، ماض، كأنه حدث ووقع، وفيه إحياء بالراحة الكاملة لنزول العطاء وتحققه؛ حيث لم ترد الآية بالمضارع (سنعطيك)؛ لأن الوعد لما كان محققاً عبر عنه بالوقوع والحدوث بالماضي؛ وذلك مبالغة وإدخالاً للسعادة على قلب الرسول، وإشعاره بأن الإعطاء حاصل لا ريب، واقع فلا خوف.

وإسناد الفعل إلى (نا) الدالة على الفاعلية يبين شموخ الغطاء، واتساع الفضل، وعظم المنة، وكبر النعمة كما أن ضمير الخطاب (الكاف) في (أعطيناك). توجي بالتخصيص؛ فهو وحده الذي نال ذلك دون سواه من سائر الأنبياء كأنه قال: ولم أعط ذلك أحداً من العالمين قبلك ولا بعدك فأنت الذي اختصت به ونزل إليك دون غيره، وتفردت بالعطاء.

الكوثر: مُعرّف بـ "أل" العهدية أو الجنسية: العهدية؛ أي: الكوثر المعهود الذي عرفته وبشرك الله به والجنسية؛ أي: جنس الخير أعطيته، فكل ما يتصوره عقل أو يتخيّله ذهن قد نلته وأخذته يا رسول الله.

والكوثر ليس نهرًا عاديًا، إنما هو نهر خاص عبر عنه الرسول عندما قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهرٌ وَعَذْبِيهِ - عز وجل - فيه خير كثير، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمّتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيختلج العبد - أي: ينتزع ويقتطع منهم، فأقول: إنّه من أمّتي! فيقال: إنَّكَ لا تدري ما أحدث بعدك. رواه الترمذي

وذهب أهل التفسير في تفسير الكوثر إلى ستة وعشرين قولاً، الصحيح هو ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: هو نهر في الجنة حافته من ذهب ومجره على الدر والياقوت ثرّيته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل.

وفي الآية الأخرى التي تُبَيِّن كثرة العطاء، وأنه لا حَدَّ له: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥].

(فصل لِرَبِّكَ وانحر) الفاء الفصيحة التي تُفصح عن شرط مقدر محذوف؛ أي: إن كنت قد علمت ذلك، وتمثله فصل لربك، والأمر للنصح والتوجيه والإرشاد، وفيه كناية عن صفة هي ود الله لرسوله وحبه لنبيه وفيها تعليم لكل مسلم أن يُتبع النعمة بالشكر ويُعقب المنة بالصلاة والدعاء؛ ليستمر العطاء، ويتعدد نزول النعماء.

و(لربك): توحى بأن الصلاة يجب أن تخصص لله فاللام للملكية، وفيها توجيه لنا بأن نتوجه بكليتنا إلى الله ونعمل كل أعمالنا ابتغاء وجهه، ومجيء "رب" توحى بالرعاية والعناية والحدب، والحب، والإضافة للتشريف (ربك) فالمسلم يشرف بالانتساب لربه والانتماء لدينه، والاعتزاز بالاعتصام بحبله.

(وانحر) أمر للنصح والإرشاد، والواو تفيد الترتيب فالنحر بعد الصلاة لا قبلها وإلا كان ذلك صدقة، واستعمال الراء يفيد تعداد النحر وكثرته واستمراره والنحر يختص بالإبل وليس للبقر والغنم، ففيها الذبح لا النحر، وهي خيار أموال العرب، وذلك شكراً له - جل جلاله - على ما أولانا من الخيرات والكرامات وفي الآية كناية عن صفة هي التوحيد والإخلاص في سائر الأعمال والأقوال فالصلاة لربنا وحده، والنحر لوجهه - جل جلاله - لا غيره وفيها إيجاز بالحذف (أي: وانحر لربك)، وخِذَفَ لدلالة السياق عليه، وليقظة المسلم وإدراكه بالغرض الذي تساق له الطاعات وتقام له الصلوات.

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أسلوب توكيد، تضمن وسيلتين: (إن، وضمير الفصل هو)، ووروده على هذه الشاكلة فيه دفاع عن رسول الله، فهو كناية عن صفة هي المحبة الخالصة من الله لرسوله، وود كامل له عليه الصلاة والسلام والشانئ المبغض، من الشنآن، وهو العداوة والبغض، والأبتر أفعل تفضيل من البتر، وهو القطع، فالأبتر المنقطع عن كل خير، ويقال لمن لا نسل له: أبتر؛ لأنه انقطع نسله ولما مات القاسم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال العاص بن وائل: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرٌ لا عَقَبَ لَهُ؛ أي: لا نَسْلَ لَهُ، فإذا هلك انقطع ذُكْرُهُ، فنزلت السورة، وفي استعمال: (إن) والضمير: (هو) إفادة الحضر، ولعل الطباقي بين الكوثر

(الخير الكثير، والأبتر الانقطاع عن كل خير) يُبرز المعنى، ويُقويه، وفي الوقت نفسه فيها سجع مؤثر، فتكون الصورة على قلة كلماتها قد جمعت فنونَ البلاغة والبيان والفصاحة والكمال والجلال والحمد لله رب العالمين.

نص من الحديث الشريف

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) رواه البخاري

١- الإيمان يشمل العقيدة، والعبادات والمعاملات والأخلاق، فهو يشمل كل الدين، ولذلك فهو كثير الفروع والشعب، فهو وإن كان يصح بالاعتقاد، إلا أنه لا يكمل إلا بالعمل.

٢- البضع على الراجح: ما بين الثلاثة إلى التسعة.

٣- الحياء: خلق يبعث على اجتناب القبيح.

والحياء قسمان: فطري، ومكتسب، فالفطري يخلق مع الإنسان ويميزه عن الحيوانات، وتأتي البيئة بكل مؤثراتها فترسخ هذا الخلق أو تضعفه، وقد يموت نهائياً في بعض البيئات فيصبح الإنسان في هذا الجانب كالحیوان تماماً.

٤- لا بد من التفريق بين الحياء والخجل، فالحياء خلق جيد، والخجل خلق ذميم، فالخجل دليل على الجبن وضعف الشخصية والانطواء، فيجب علينا أن نربي أبناءنا على الجرأة والحياء لا على الخجل والجبن.

٥- الحياء قد يكون من الله، وقد يكون من الناس، فالمسلم التقي يستحي أن يعصي الله وهو الذي خلقه ورزقه وهو المطلع عليه العليم بذات الصدور، وبعض الناس يستحي من الناس فلا يفعل أمامهم ما لا يليق، ولكنه لا يستحي من الله تعالى، فالناس عنده أهم من الله تعالى، وبعض الناس لا يستحي من الله ولا من الناس.

٦- الحياء من فعل الحرام واجب، والحياء من فعل المكروه مندوب، والحياء من فعل الواجب حرام، والحياء من فعل المندوب مكروه، والحياء من فعل المباح مباح.

٧- ذكر الحياء في الحديث، وإفراده بالذكر دون سائر شعب الإيمان دليل على أهميته، وأنه إذا تحقق دفع إلى الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، ولذلك لا بد أن نهتم بهذا الخلق بمعناه الشرعي، فمقاييس الحياء في الشرع قد تختلف عن مقاييسه عند الناس أحياناً، فعلى أن نربي أطفالنا منذ الصغر على الحياء بالمعنى الشرعي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل). رواه البخاري

١- الإنسان في هذه الدنيا في امتحان، وفي صراع مع العقبات التي تعترض طريقه للنجاح في هذا الامتحان والفوز بالجنة، ومن هذه العقبات حب الدنيا وطول الأمل.

٢- يظن كثير من الناس أن هاتين العقبتين تضعفان مع مرور الوقت، ووصول الإنسان إلى سن الشيخوخة، وينتج عن هذا الظن تأجيل للعمل، وتسويف في التوبة والالتزام إلى أن يكبر الإنسان وتقل رغبته في الدنيا، ويقصر أمله. ويؤكد الحديث أن هذا الظن خاطئ، وأن حب الدنيا وطول الأمل لا يضعفان في قلب الإنسان إذا كبر، بل يبقى حبهما في قلبه شاباً أي قوياً، أو يبقى قلبه كقلب الشاب في هذين الأمرين.

بل إن حديثاً آخر يشير إلى أن حب الدنيا وطول الأمل يكبران مع تقدم الإنسان في السن، ويزداد تعلق الإنسان بالدنيا لإحساسه بأنه سيفقدها، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر).

٣- حب الدنيا: الإسلام ينظر إلى الدنيا إلى أنها وسيلة للفوز برضوان الله تعالى، ويحذر في كثير من النصوص من أن يجعلها الإنسان هدفاً، فإذا أحبها وجعلها هدفاً، وأصبح عبداً لها فقد ضل وخسر وشقي في الدنيا والآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار والدرهم).

والشيطان هو العدو الأول للإنسان يستخدم الدنيا سلاحاً رئيسياً في إضلال الإنسان، من خلال تزيين المعاصي والمحرمات. وحب الدنيا إلى درجة العبادة هو السبب الرئيس في الانحراف {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ} (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْزَى}. وهو السبب الرئيسي في النزاع بين الناس قديماً وحديثاً.

وهكذا فعلى المسلم الذي يريد أن يفوز في الامتحان أن يجتاز هذه العقبة، وأن يجعل الدنيا في يده لا في قلبه، فإنها إن كانت في يده كانت وسيلة، وإن كانت في قلبه صار عبداً لها.

وأفضل علاج لحب الدنيا، أن تعرفها على حقيقتها، وذلك كمن وجد زجاجة فظنها لؤلؤة فزاحم الناس وقاتلهم للفوز بها، فأفضل أسلوب لجعله يزهد فيها أن تبين له عن طريق الخبراء أنها زجاجة فإذا اقتنع بذلك رماها.

وكذلك الدنيا فإن الإنسان إذا عرف أنها زائلة مهما طال، وأن الآخرة باقية لا تزول، وأن نسبة المحدود إلى غير المحدود صفر، فلو عاش الإنسان في الدنيا مائة سنة فإنها بالنسبة للآخرة اللانهائية تساوي صفرًا، إذا علم ذلك واقتنع به ووصل إلى قلبه زهد فيها، وجعلها وسيلة إلى الآخرة

٤- طول الأمل: الأمل قسمان:

- أ- أمل يدفع إلى عمل الخير، فالطالب لولا أمله في الحياة لما درس، والمجاهد لولا أمله في النصر أو الشهادة لما جاهد، والمصلح لولا أمله في النتيجة لما دعا، وهكذا، وهذا أمل محمود مطلوب لأنه يعين على فعل الخير.
- ب- أمل يعيق عن عمل الخير، ويدفع إلى التسويف والكسل، كالتالب الذي يرى الامتحان بعيداً فلا يدرس، فهذا هو الأمل المذموم.

وأما حب طول العمر فهو من حب الدنيا، فمن أحب طول العمر لإتمام أعمال الخير التي يريدونها فهذا أمر محمود، لأنه قد جعل العمر وسيلة للآخرة، ومن أحب طول العمر لذاته فهو من حب الدنيا الذي لا خير فيه، وقد جعلها غاية.

ومن هذا المعنى قول من قال: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).

٥- في الحديث تحذير من التسويف، وتأجيل العمل والتوبة، وتحذير من كل ما يعيق الإنسان عن الفوز برضوان الله تعالى.

خطبة تولية الخلافة لأبي بكر الصديق

قال: أيها الناس! لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، وما ترك قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

كانت بيعة الخلفاء الراشدين على كتاب الله وسنة رسوله متضمنة أهم أسس العدالة والحرية والكرامة والمساواة ومبادئ الحكم الرشيد، ولم يكن الصحابة ليوافقوا على بيعة الخلفاء الراشدين لو لم تكن وفق أصول النظام الإسلامي كما هي مقررة في الشريعة الإسلامية، وتضع لسلطة الحاكم قيوداً وحدوداً شرعية.

وقد تعرض عدد كبير من الباحثين المعاصرين لأسس العدالة في النظام الإسلامي. ومنهم من سماها: ضمانات الحكم الإسلامي، مثل: محمد أحمد مفتي في كتابه «أركان و ضمانات الحكم الإسلامي»، ومنهم عبد الغني بسيوني في كتابه «نظرية

الدولة في الإسلام»، وقد جعلها في ست ضمانات، وهي: وجود دستور إلهي، وتقرير المبادئ الدستورية الإلهية، والحقوق، والحريات العامة، وتقرير مسؤولية الحاكم، والفصل بين السلطات، وخضوع السلطة الحاكمة لرقابة القضاء.

وكذلك أوردتها توفيق الشاوي ضمن كتابه: «فقه الشورى والاستشارة»، وقال: إن الفقه الإسلامي يبيح جماح سلطان الحكام؛ لأنه يحصر ولاية الحكومة الشرعية في نطاق التنفيذ، ويحجبها عن ميدان الفقه، ويفرض الأساس التعاقدية للدستور الذي يفصل شروط البيعة الحرة، ويقيد سلطة الحكام، وينظم مساءلتهم، والرقابة على أعمالهم، ويحمي استقلال المؤسسات المستقلة عنهم في ميدان الفقه والعلم والتعليم والأوقاف، وبين المال والزكاة.

ويظهر أن توفيق الشاوي يحدد أسس وضمان العدالة في الحكم الإسلامي فيما يلي:

- استقلال الشريعة والفقه على سلطة الدولة التنفيذية.
- اختيار الرئيس يقوم على أساس البيعة الحرة.
- الحد من سلطة الحاكم.
- مراقبة الحاكم ونقده وتقويمه.
- استقلال المؤسسات العلمية والتعليمية والمالية عنهم.

وقد جاء في خطبة الصديق حينما ولي الخلافة ما يوضح الحدود والقيود على سلطة الحكام؛ التي تضمن سير العدالة.

فقد نص خطاب الصديق رضي الله عنه على الآتي:

أما بعد:

- أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم.
- فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني.
- الصدق أمانة والكذب خيانة.
- والضعيف فيكم قوي عندي حتى اخذ الحق له.
- والقوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه إن شاء الله.
- لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل.
- ولا يشيع في قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء.

أطيعوني ما أطيعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

فنص الخطاب يتضمن أهم شروط البيعة التي يلتزم بها الإمام.

وفي خطاب أبي بكر لنا وفتات، منها:

1. أول حاكم بعد الرسول:

إن أبا بكر رضي الله عنه هو أول حاكم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، بشر لا يوحى إليه، فبهذه الصفة مؤهل لأن يكون نموذجاً للحكم الرشيد الذي فيه الدروس والعبر والقيم من خلال المجهود البشري؛ الذي يخطئ ويصيب، ومسترشد بالقرآن والسنة.

2. التواضع الكبير:

إن نص هذه الخطبة يعتبر بمصطلحات وأقوال عصرنا هو البيان الوزاري للسلطة التنفيذية التي تمت عليه البيعة العامة، وإعطاء الثقة في المسجد بعد البيعة الخاصة في السقيفة في ضوءه.

3. البيان الوزاري للسلطة:

إن قول أبي بكر رضي الله عنه: وليت عليكم ولست بخيركم: فكل حاكم يجب أن يعلم أنه معرض للخطأ والمحاسبة، وأنه لا يستمد سلطته من أي امتياز شخصي، وهذه العبارة تكفي للرد على جميع من يدعون أن الحكومة الإسلامية يمكن أن تكون لها صفة دينية، أو ثيوقراطية.

وهذه مدرسة الإسلام في تقديم النماذج القيادية للسلطة التنفيذية، من معالمها: التواضع الجرم، وإلا فأبو بكر خير الناس بعد محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء المرسلين بلا منازع بنصوص واضحة وصريحة من الكتاب والسنة، ولكن أبا بكر يؤسس لمنهج التواضع السياسي الذي ينبغي أن يسير عليه مواطنو الدولة الإسلامية، وخاصة رئيسهم؛ لأنه القدوة بالنسبة للآخرين.

إن التواضع المطلوب في الإسلام هو التواضع الشامل في الأخلاق والكلام والأفعال والملبس والمأكل والمشرب والمركب، لا يُستثنى من شؤون الحياة شيء.

4. حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته:

قال أبو بكر رضي الله عنه: فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني.

فهذا الصديق يقر بحق الأمة وأفرادها في الرقابة على أعماله ومحاسبته عليها، بل وفي مقاومته لمنع كل منكر يرتكبه، وإلزامه بما يعتبرونه الطريق الصحيح والسلوك الشرعي، وقد أقر الصديق في بداية خطابه للأمة أن كل حاكم معرض للخطأ والمحاسبة،

وأنه لا يستمد سلطته من أي امتياز شخصي يجعل له أفضلية على غيره؛ لأن عهد الرسالات والرسل المعصومين قد انتهى، وأن آخر رسول كان يتلقى الوحي انتقل إلى جوار ربه، وقد كانت له سلطة دينية مستمدة من عصمته كني، ومن صفته باعتباره رسولاً يتلقى التوجيه من السماء، ولكن هذه العصمة قد انتهت بوفاة صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم أصبح الحكم والسلطة مستمدين من عقد البيعة، وتقويض الأمة للحاكم.

إن الأمة في فقه أبي بكر لها إرادة حية واعية لها القدرة على المناصرة، والمناصرة، والمتابعة، والتقويم، فالواجب على الرعاية نصره الإمام الحاكم بما أنزل الله، ومعاذته ومناصرته في أمور الدين والجهاد، ومن نصره الإمام ألا يهان، ومن معاضدته أن يحترم، وأن يكرم، فقوامته على الأمة وقيادته لها لإعلاء كلمة الله تستوجب تبجيله، وإجلاله، وإكرامه، وإجلالاً وإكراماً لشرع الله الذي ينافح عنه ويدافع عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط.»

والأمة واجب عليها أن تناصح ولادة أمرها، قال صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة . ثلاثاً.» قال الصحابة: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله عز وجل وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.»

ولقد استقر في مفهوم الصحابة أن بقاء الأمة على الاستقامة رهن باستقامة ولائها، ولذلك كان من واجبات الرعاية تجاه حكامهم نصيحهم وتقويمهم، ولقد أخذت الدولة الحديثة تلك السياسة الرائدة للصديق رضي الله عنه، وترجمت ذلك إلى لجان متخصصة، ومجالس شورية تمد الحاكم بالخطط، وتزوده بالمعلومات، وتشير عليه بما يحسن أن يقرره.

والشيء المحزن أن كثيراً من الدول الإسلامية تعرض عن هذا النظام الحكيم، فعظم مصيبتها في تسلط الحكام وجبروتهم، والتخلف الذي يعم معظم ديار المسلمين ما هو إلا نتيجة لتسلط بغيض «ودكتاتورية» لعينة، أمانت في الأمة روح التناصح والشجاعة، وبذرت فيها، وزرعت الجبن والفرع إلا من رحم ربي.

ولعل مع ثورات الشعوب المتطلعة إلى الحرية، والكرامة، والعدالة، تنجح هذه الشعوب النائرة بالقيام بدورها في اختيار الأصلح، ومراقبة الحكام، ومناصحتهم، وتستفيد من تجربة الصديق الرشيدة في إدارة الحكم.

5. الصدق أساس التعامل بين الحاكم والمحكوم:

قال أبو بكر رضي الله عنه: الصدق أمانة والكذب خيانة. أعلن الصديق رضي الله عنه مبدأ أساسياً تقوم عليه خطته في قيادة الأمة وهو: أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهام في قوة الأمة، حيث ترسخ جسور الثقة بينها وبين حاكمها... إنه خلق سياسي منطلق من دعوة الإسلام إلى الصدق.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩].

ومن التحذير من الكذب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر.»

فهذه الكلمات: (الصدق أمانة) اكتست بالمعاني، فكأن لها روحاً تروح وتغدو بين الناس، تلهب الحماس، وتصنع الأمل. (والكذب خيانة) وهكذا يأبى أبو بكر إلا أن يمس المعاني، فيسمي الأشياء بأسمائها، فالحاكم الكذاب هو ذلك الوكيل الخائن الذي يأكل خبز الأمة ثم يخذعها، فما أتعس حاكماً يتعاطى الكذب فيسميه بغير اسمه، لقد نعت الصديق بالخيانة، وأنه عدو أمته الأول، وهل بعد الخيانة من عداوة؟! حقاً ما زال الصديق يطل على الدنيا من موقفه هذا، فيرفع أقواماً ويسقط آخرين، وتظل صناعة الرجال أرقى فنون الحكم، إذ هم عدة الأمة ورصيدها الذي تدفع به عن نفسها ملومات الأيام، ولا شك أن من تأمل كلمات أبي بكر تلك أصدق الخبر بأن الرجل كان رائداً في هذا الفن الرفيع، فقد كان يسير على النهج النبوي الكريم.

إن شعوب العالم اليوم تحتاج إلى هذا النهج الرباني في التعامل بين الحاكم والمحكوم لكي تقاوم أساليب تزوير الانتخابات، وتلفيق التهم، واستخدام الإعلام وسيلة لترويج اتهامات باطلة لمن يعارضون الحكام أو ينتقدونهم، ولابد من إشراف الأمة على التزام الحكام بالصدق والأمانة من خلال مؤسساتها التي تساعد على تقويم ومحاسبة الحكام إذا انحرفوا، فتمنعهم من سرقة إرادتها، وشرفها، وحريتها، وأموالها.

اختبار نصفي

1. كم سنة استمرت فترة "صدر الإسلام" كما عرفها معظم الدارسين؟
2. ما المقصود بـ "العصبية القبلية" التي قضى عليها الإسلام؟
3. اذكر أثرين اجتماعيين للإسلام على حياة العرب.
4. كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من الضياع؟
5. ما الغرض الرئيسي من الخطابة في عصر صدر الإسلام، وكيف اختلف عن غرضها في الجاهلية؟

6. من قول أبي بكر الصديق: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم". ما المبدأ

الدستوري الذي يستنبط من هذه العبارة؟

7. يستنبط النص أن الإسلام "خلق مجتمعًا متكافئًا". ما الدليل من النص على أن هذا التساوي لم يكن شكليًا فقط؟

8. يقول الحديث: "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان". ما العلاقة التي يستنبطها النص بين "الحياء"

و"الأخلاق"؟

9. من خلال حديث "لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل"، ما التحذير الذي يوجهه الإسلام

للإنسان؟

10. لماذا كره الخلفاء الراشدون السجع في الخطابة كما ورد في النص؟

11. حلل كيف أسهم القرآن الكريم في إثراء اللغة العربية من الناحية اللغوية والأدبية، مع ذكر أمثلة.

12. قارن بين نظرة الجاهلية ونظرة الإسلام إلى المرأة، مستشهداً بما ورد في النص.

13. يقول النص إن الإسلام "أحدث ثورة سياسية". حلل مظاهر هذه الثورة بناءً على ما ورد.

14. كيف انعكس التأثير بالقرآن الكريم على شعراء صدر الإسلام من ناحية المضمون والأسلوب؟

15. ما الدور الذي لعبته "الرسائل" في بناء الدولة الإسلامية في عصر صدر الإسلام؟

16. من خلال خطبة أبي بكر، ما الأسس التي وضعها للحكم الرشيد والتي يمكن اعتبارها مبكرة لنظرية "العقد الاجتماعي"؟

17. كيف مثل "الحياء" في المفهوم الإسلامي -كما ورد في الحديث- ضماناً أخلاقياً للمجتمع؟

18. لماذا يُعتبر أسلوب القرآن الكريم فريداً ومُعجزاً وفقاً لتحليل النص؟

19. ما وجه الاتفاق والاختلاف بين أثر القرآن الكريم وأثر الحديث النبوي في اللغة العربية حسب النص؟

20. بناءً على النص، كيف يمكن تفسير ظاهرة أن العرب قبل الإسلام كانوا أمة "أمية" ولكنهم أنتجوا أدباً عالياً (كمعلقات

الشعر)؟

رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري لتوليته القضاء

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإنَّ

القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك وعذلك

ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البيّنة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصّلاح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً. لا يمتنعك قضاء قضيتته اليوم فراجعك فيه عقلك وهديت فيه ليرشدك أن ترجع إلى الحقّ فإنّ الحقّ قديم ومراجعة الحقّ خير من التماذي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحقّ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بيّنة أمداً ينتهي إليها فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحلت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى، المسلمون عدول بغضهم على بعض إلا مجلوداً في حدّ ومجرباً عليه شهادة زور أو ظنيّاً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان. وإياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإنّ الحقّ في مواطن الحقّ ليعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله بينه وبين الناس ومن تخلّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك بئواب غير الله -عز وجل- في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام".

التوجيهات التي تَصَمَّتَتْها رسالة عُمر بن الخطّاب

درس العلماء وثيقة عُمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-، فوجدوا فيها خلاصة ما استفاده عُمر من نصوص رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- في أمور القضاء ونظامه، نذكر فيما يلي بعض القواعد والتوجيهات التي ذكرها العلماء:

1. أهمية وجود القضاء وثبوته في السنة النبوية وكونه فريضة من فرائض الدين الإسلامي.
2. توضيح أسس القضاء من المساواة بين الخصوم في جميع الإجراءات، وإتاحة الفرصة لكلا الخصمين بالتحدث بما لديهم وتوضيح موقفهم للقاضي، والابتعاد عن الظلم والمحاباة في القضاء.
3. ضرورة فهم القضية وأدلة كل خصم من قبل القاضي، وحضوره معهم معتدّل النفس ومرتاح البال والصّмир، فقد قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلم-: (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان).
4. ضرورة وجوب إنفاذ حكم القضاء بعد إتّضح الحقّ، والرّجوع عنه إذا تبين وجود خطأ فيه أو مخالفته للكتاب والسنة النبوية.
5. وجوب سعي القاضي للصّلاح بين المتخاصمين قبل البدء بالقضاء، حيث يمكن أن تكون الخصومة بسبب عدم وضوح الواقعة للمتخاصمين أو تعارض البيّنات عندهما.

6. أهمية الإخلاص في القضاء وقصد وجه الله تعالى، والابتعاد عن الرياء ورضا الناس فيما يتعارض مع رضا الله سبحانه

وتعالى.

تحليل الرسالة

هذه إحدى الرسائل المهمة المشهورة التي تبين قواعد القضاء في الإسلام، وهي موجهة من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري حينما أصبح والياً قضاء البصرة، وقد جمع فيها الخليفة قواعد القضاء، وأصول الحكم، ومنها الشهود، ومؤهلات القاضي، والصلح الجائز الذي يرضي الطرفين، والاجتهاد، والعودة عنه، إذا ظهر ما يستوجب ذلك. وقد افتتح الرسالة بالبسملة، ثم ذكر اسم المرسل واسم المرسل إليه، ووضح أن النظر في مظالم الناس فرض واجب، وعلى القاضي أن يفهم، ويحسن الفهم، لأنه مفتاح الحكم الصالح، والطريق إلى إحقاق الحق، ثم عليه أن يساوي بين الناس، فلا يميز شريفاً من وضع، ولا كبيراً من صغير، عندها لا يطمع القوي، ولا يتأيس الضعيف.

وعلى القاضي أن يستمع إلى دليل المدعي، ويعطيه الوقت الكافي لإحضار دليله، فإن قصر في ذلك، استحلت عليه القضية وعبارته: " البينة على من ادعى واليمين على من أنكر " أصبحت قاعدة قانونية تلتزم بها القوانين كلها.

والصلح واجب إلا الصلح الذي يجعل الحلال حراماً والحرام حلالاً فهذا لا يرضي الله ولا يرضي المتخاصمين، وهو وضع للحق في غير موضعه.

مميزات الرسالة:

فهي إذن رسالة حكومية تصوّر لنا نفسية عمر وما جبلت عليه من يقظة وحبّ للمساواة والعدالة وحسن تصرف واجتهاد وحرص على مصلحة المسلمين واعتزاز بالإسلام وضرورة التمسك بالقيم الخلقية في ساحة القضاء.

وهذه الرسالة مكونة من: مقدمة وعرض وخاتمة، أما المقدمة فاكتفى فيها بالبسملة، وأما العرض فقد أوضح فيه عمر دستور القضاء وعند المسلمين فرسم مبادئه في لفظ جزل وأسلوب جميل. ثم ختم رسالته بتوجيه نصيحة عامة بترك التمويه والنفاق. وأسلوب الرسالة علمي متأدب فالعناية بالدرجة الأولى إلى الأفكار، إلا أن كاتبها كان خبيراً بفنون القول، فهو يحدد ألفاظه ويوجز وعلى الرغم من ذلك ففي أسلوبه مسحة من جمال.

والأهم من كل هذا أن مبادئ الخليفة عمر (رضي الله عنه) في القضاء ما تزال إلى اليوم مبادئ قيمة خالدة صالحة للأخذ بها في ساحة القضاء النزيه، ومن هنا اكتسب النص صفة الخلود، إذ تخطى الزمان والمكان والأجيال ليخاطب الإنسانية كلها في جميع الأصقاع والأزمان.

والنص نموذج للأدب الصافي المعنى، وكذلك كان شأن الأدب في عنصر صدر الإسلام؛ لأن الكاتب والخطيب كان لديه ما يقوله، فهو صاحب رسالة، وراعي أمة، وهو في الوقت نفسه خبير بفن القول.

نص حسان بن ثابت فيبيعة بني تميم في عام الوفود

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، وهو من المخضرمين المعمرين، كان شاعر الخزرج المدافع عنهم قبل الإسلام، وكان متصلاً بالغساسنة، ومدحهم بشعر جزل، وكان لسان قومه في حروبهم وبعد هجرة الرسول للمدينة ودخل حسان الإسلام، ووقف مجاهداً بشعره أعداء الدين، وقد دعا له الرسول بقوله: ((اللهم أيده بروح القدس)) وقال عليه السلام عن شعره: ((لهذا أشد عليهم من وقع النبل))، وكان يركز في هجائه كفار قريش على الأيام التي هزموا فيها، ويعيرهم بالمثالب والأنساب، ولذا نرى الرسول عليه السلام يقسم له من المغانم ويهديه (سيرين) أخت مارية القبطية، وظل الخلفاء من بعد رسول الله - عليه السلام - يفيضون له في العطاء، وقد استحق أن يسمى (شاعر الإسلام والرسول)، وكذلك نرى النقاد يتفقون على أنه أشعر أهل المدن، وأشعر اليمن، ومما يدل على عظمة شعره قصته مع وفد بني تميم، وإسلامهم.

قالها حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول ﷺ في وفد بني تميم عام الوفود (سنة ٩ هـ)، عندما قدموا المدينة لمبايعة النبي ﷺ، معروفة في كتب الأدب والسير، وقد أراد حسان أن يمدح الأنصار ويُفاخر بهم أمام وفد تميم، فجاء قوله:

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فُهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ ... قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعْ

يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... إنَّ الخلائق فاعلم شرها البدع

إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدِّفاع ولا يوهون ما رقعوا

إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا

أَعَفَّةَ ذَكَرْتَ فِي الْوَحْيِ عَفَّتْهُمْ ... لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يَرْدِيهِمْ طَمَعٌ
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ ... وَلَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبْعٌ
إِذَا نَصَبْنَا لَحَى لَمْ نَدْبَ لَهُمْ ... كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبَهَا ... إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ ... وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا هَلَعٌ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مَكْتَنَعٌ ... أَسَدٌ بَحْلِيَّةٌ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ
خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا ... وَلَا يَكُنْ هَمَّكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنْ فِي حَرْبِهِمْ فَأَتَرَكَ عِدَاوَتَهُمْ ... شَرًّا يَخَاضُ عَلَيْهِ السَّمَّ وَالسَّلْعُ
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيعَتَهُمْ ... إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
أَهْدَى لَهُمْ مَدْحَتِي قَلْبَ يَوَازِرِهِ ... فِيمَا أَحَبَّ لِسَانُ حَائِكَ صَنَعَ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ ... إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا

حسان بن ثابت.. شاعر الرسول.. شاعر النبي هو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج، التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز، وأقامت في المدينة مع الأوس.. ولد في المدينة قبل مولد الرسول بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة أخرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفاً إلى اللهو والغزل، فأبوه ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، من سادة قومه وأشرافهم، وأمه الفريجة خزرجية مثل أبيه.

وحسان بن ثابت ليس خزرجياً فحسب؛ بل هو أيضاً من بني النجار أخوال رسول الله فله به صلة وقرابة .

مناسبة القصيدة:

١ -المفاخر الجاهلية والردّ عليها.

٢ -بيان أبعاد الدين الجديد وآثاره.

٣ -إرشاد بني تميم إلى الإسلام وإخلاص النصيح لهم..

تحليل القصيدة:

بدأ حسان بن ثابت قصيدته بحديث مركز ومباشر عن كُليّة من كُليّات العقيدة الإسلامية، وهي: أنّ الإسلام دين الفطرة، وكان طَرَحُهُ لذلك مرتبطاً بغرضين واضحين:

أولهما: مدح الجماعة المسلمة من المهاجرين والأنصار (فهر وأخوتهم) بنقاء الفطرة .

ثانيهما: تنبيه بني تميم إلى خصائص الدعوة الإسلاميّة، وغمز جانبيهم بصفات المستجيب لها.

على الرغم من أنّ مطلع القصيدة مُحكَّم الإنشاء عن الرؤية النفسيّة والفكريّة بمداراتها أو أبعادها الثلاثة السابقة، إلّا أنّه لم يكن مُعْنِياً السامع عن التطلّع إلى تتبّع هذا الخبر القائم على عملية البيان في حركة الدعوة، الذي طرحه حسان في قوله "قد بينوا سنة للناس تتبّع."

لكنّ حسان بن ثابت أراد أن يدفع أولاً مظنة رَوَجَتْ لها قريش بين القبائل، وهي أنّ الجماعة المسلمة أشتات مجتمعة من الضّعفاء والأراذل، الذين وجدوا ضالّتهم في الدعوة الإسلامية: قالوا أنؤمن لك وتتبعك الأراذل

لذلك ظهرت قوّة هذه الجماعة وتمكّنها المتوازن في إيقاع الضرر في أعدائهم وإحداث النفع بين أصدقائهم، فضلاً عن دقّة وإتقان في إصابة الغاية، التي يقصدون إليها خاصّة وقت الحرب، فأفعالهم متكاملة في مختلف الأحوال حرباً وسلاماً، هدماً وبناء، وهي ذات أصالة وعراقة.

سَجِيَّةٌ تَكُ فِيهِمْ غَيْرُ مُخَدَّئَةٍ	قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا	لَا يَرْقُعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
عِنْدَ الدَّفَاعِ لَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا	إِنَّ الْخُلَائِقَ قَاغَلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعَ

وإسناد فعل المصدرين (الضر والنفع) أو الشجاعة والسماحة إلى الجماعة المسلمة (ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ، أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا) مصوغ مسوق في الزّمن الماضي، فضلاً عن الوصف المؤكّد المقرّر لذلك (غير محدثة). فالإخبار بما كان، لا بما هو كائن، أو يكون، وفي ذلك استرجاع لبعض الوقائع ذات الجذور التاريخيّة الماثلة في أذهان قبائل العرب ومنها تميم.

ولعلّ في هذا الإسناد والتّعبير بصيغة الزّمن الماضي، منجاة لحسان بن ثابت من أيّ مساس بمعتقده الإسلامي، أو يقينه بأنّ الله هو النّافع الصّار، ولا ينازع الإحساس بالماضي في هذه الصّفة (الشجاعة حرباً كانت أو سماحة وكرماً) الانفعال بحاضر الجماعة المسلمة ومستقبلها، الذي جسّد بداليتين في التّعبير:

• أولهما: المعيار الإسلاميّ في تقويم الأخلاق لفظاً ومعنى.

• وثانيهما: صيغة استمرارية الزمن الحاضر في لا يرقع - لا يوهون.

فقد استعان حسّان بالمعيار الإسلامي في تقويم الأخلاق والسجايا، قديمها والمحدث منها فجعل الغريزة والفطرة مسوّغاً للخير في قبول السجايا والطّباع (سجية غير محدثة) والمبتدع الحادث سبيلاً للشرّ في رفض الأخلاق.

ويتنامى الإحساس بالجماعة المسلمة في حاضرها، ويتعاضد الانفعالات بها، لتمييزها بالفضل والتفرد بين الناس لا في الماضي فحسب، بل يتجاوز الحاضر المشاهد المحسوس إلى المستقبل المغيب:

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ

أَوْ وَارَازُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّندَى مَتَّعُوا فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعٌ

ويضارع الإحساس المتنامي في هذا الجانب تصعيد في المعنى ونماء في الإيقاع متدرج مُطْرِب الجرس.

فالمسابقة الجارية وإن اختلفت فئاتها فقد تنوّعت اتجاهاتها، إذ أنّ مسابقة العامّة (سابقوا الناس) فيها فوز هين مقدور عليه في كل حين (يوماً)، ومسابقة الخاصّة (أهل المجد) بالندى فيها تميّز أداء الجماعة وإمتاعه، أما مسابقة خاصة الخاصة (السباقون) ففيها التبعية المؤكدة لفضل الجماعة المسلمة باقتداء هذه الفئة بها.

وحمل هذه المعاني سياق إيقاعيّ متماثل الصوت في تكرير مادة سبق (سباقون، سبق، سبقهم) بأبنية مختلفة، فيه إطراب وتلذذ بذكر المكرر، وفيه شمول وانتظام بين صدر البيت وعجزه.

إنّ تصعيد المعنى بما فيه من طاقات شعوريّة ودلالات تعبيرية، يحمل تطعماً معرفياً، خاصّة أن الانتقال من الماضي إلى المستقبل في شأن الجماعة المسلمة غيّب الحاضر فيه، فكان تفصيل ذلك وتحليله من خلال مواقف سلوكيّة تنتظم فئتي الجماعة المسلمة في الغنى والفقر تعاملًا مع نماذج بشريّة منوّعة، فيها المولى والجاهل والعدو، في قيم اجتماعية محدّدة من الكرم والحلم والشّجاعة. وقد جاء ذلك في إطار من الإغراء المحبّب، للدّخول في الإسلام، والانتظام في الجماعة المسلمة :

وَلَا يَضُنُّونَ عَنْ مَوْلَى بِفَضْلِهِمْ لَا يَجْهَلُونَ وَإِنْ حَاوَلْتَ جَهْلَهُمْ

أَعَفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْوُهُمْ كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كِرَامَتَهُ

وَلَا يُصِيبُهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَبَعٌ فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَسَخِّعٌ

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ وَمِنْ عَدُوِّ عَلَيْهِمْ جَاهِدٍ جَدَّعُوا

فالأغنياء والفقراء متوحدون بخلق رفيع، في مجانبة الدّنس والخسّة والطّمع في المعاملة والكسب، فأهل الفضل (لا يصيبهم في مطمع طبع) كالفقراء تماماً (لا يطبعون ولا يريدهم الطمع)، على الرغم مما في المال من إغراء للغني في الزيادة، ... وجاذبية للفقير في سدّ الحاجة.

إنّ العداوة متباينة في شدّتها ونسبتها، مختلفة في أسلوب علاجها، فانتساع الصّدر للجاهل -وهو عدو- يقابله جدع للعدو الجاهد. ولا تبتعد المفارقة عن الممازجة في تعميق الإحساس بالجماعة وترسيخ الفخر بها والاعتزاز بفضائلها وقدراتها، خاصّة أنّ في هذا الفخر نزوعاً قاصداً بالمفارقة وإجهاض الفضائل التي جاءت دالّة على منزلة تميم ومكانتها في قول شاعرها:

وَكَمْ فَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْفَخْطِ مَطْعَمَنَا
ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِثُهُمْ فَنَنْحِرُ الْكُومَ غَبْطًا فِي أُرُومَتِنَا
عِنْدَ النَّهَابِ وَقُضْلُ الْعَرِ يُتْبَعُ مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيّاً ثُمَّ تَصْطَنَعُ لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبِعُوا

ففسريّة النّهب من الغنائم في تميم، منقوضة بترقّع عن الدّنس والخسّة وعفاف عن المطامع، والمفاخرة بسعي السّراة والسّادة من القبائل للفضل، يغيّره حذب الغنيّ على المولى من غير سعي دونما نظر إلى مكانته ومنزلته، والكرم الحسي من إطعام الشّوَاء ونحر النّوق السّمان، وإشباع النازلين وقت اشتداد الحاجة من القحط مفضول بكرم خلقي فيه الفضل والعفة وعلو الهمة من اللحم والأناة.

وتأثّلت المفارقة والممازجة في نسق تعبيريّ متماثل الأداء والغاية، فالفعل المضارع المنفي (لا يَصْنَوْنَ، لا يصيبهم، لا يجهلون، لا يطبعون، لا يريدهم) بما فيه من خبرية البناء واستمرارية الزمن، فإنّه يدلّ على تحقق الخبر وإثباته بالحضور المشاهد، والواقع المجرب.

وللإشارة بالوحي دلالة خبرية أخرى موحية بتأكيد الحقيقة وصدقها:

أَعَفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتُهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَرِيدُهُمُ الطَّمْعُ

وخبر السّماء عن أهل العفة مجهول لا يعرفه بنو تميم تعبيراً قرانياً يتلّى، لكنّهم يدركونه واقعاً وفعلاً مطابقاً للخبر، فهو مشهود متحقّق بمشاركة أهل العفة في كلّ سرّيّة بعثها رسول الله للجهاد، ويأتي الدّليل المؤكّد لذلك في السّياق بأسلوبين: التّكثير في "كم

من صديق ... ومن عدو" والاستمرارية في صيغة "جاهد" المبنية على الفاعلية، التي تحمل إيحاءً دالاً على "قريش"، التي عُرِفَتْ بعداوتها للدودة للإسلام والمسلمين.

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهِدٍ جَدَّعُوا

وإذا كانت المواقف السلوكية السابقة يرفّت فيها خُلُقٌ إسلاميٌّ يحمل تجسيدا لطبيعة العلاقة بين الجماعة المسلمة والأدنى منزلة، والنّد مرتبة، فإنّ طاعتها لرسول الله صريحة الدلالة على الالتزام بأمر الأعلى والإخلاص له ما دام حقاً وهدى وبراً.

أَعْطُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرَّ طَاعَتَهُمْ إِنَّ قَالَ سِيرُوا أَجْدُوا السَّيْرَ جُهِدَهُمْ

ما زال سَيْرُهُمْ حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُمْ فَمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا

أَوْ قَالَ عَوْجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَّعُوا أَهْلُ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْبَيْعُ

ولذلك كانت الاستجابة للنّبوة بالطّاعة عن رغبة ورضى (أعطوا) لأنّ فيها الهداية والزّشاد ولوازم البرّ من صدق، وإحسان، وخَيْر، وصلات، وتراحم، وعبادات موصلة إلى الجنة.

وغدا لهذه الطّاعة ما يميّزها ويخصّصها من الديمومة والحركة والفاعلية في الأثر، فقد تغانت الجماعة المسلمة في نصره النبي، ولم تَقْتَرِ هَمَّتُهَا في ذلك حرباً أو سُلماً، إذ أخذتْ نَفْسُهَا بالحرص على بلوغ الغاية القصوى في الأمر الذي يصدر إليها، مما ترك صدقاً في انقياد أهل الكتاب من النّصارى واليهود إلى الإسلام.

فالتسليم بالطّاعة ترتّب عليه، بل أعقبه مباشرة العزم على النّصرة من غير رَيْثٍ أو تَفْكيرٍ (أعطوا ... فما ونى نصرُهُمْ عنه وما نَزَعُوا) ثم كان التكليف بالجهاد اختباراً للتّسليم والبذل والعزم، فإذا بالطلب يأتي بجوابه، والاستجابة تابعة للأمر (إن قال سِيرُوا أَجْدُوا السَّيْرَ ... أو قال عَوْجُوا ... ربعوا).

ولذلك كانت سيادة الإسلام نتاجاً لاستمرارية الجهد الذي يمثله العامل (ما زال ومعموله) (مستمراً) (ما زال سِيرُهُمْ حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُمْ) على أنّ في مقابلة السَّيْر (الجهاد) المطلق في زمنه بالإمام والوقوف المقيّد بساعة في وقته، إنباء بنسبة الحركة إلى الوقوف، وعظم معاناة القتال إلى قصر التمتع بالراحة، أما القَوْدُ في (استقاد) فإشارة فصيحة إلى قيام هذه الحركة في دعوتها على أساس الإقناع لمن يملك الحجة (اليهود والنصارى) لا على الإرغام والقهر والسُّوق.

والانفعال بهذا الحقّ جاء قوياً عنيفاً سادت فيه المباشرة والصّراحة في الأمر والنهي (خذ، لا يكن، اترك) قصداً إلى النصّح والتّوجيه، والتّروغيب والتّرهيب.

خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوَ إِذَا غَضِبُوا فَإِنْ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عداوتَهُمْ
وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْغُ

والوعظ المباشر بالأمر والنهي أو غير المباشر بالصورة السابقة يحمل في هذا المجال وظيفة فنية في ربط المعاني وإحكام البناء الفني، إذ جاء الأمر والنهي انفعالاً بما تقدّم من إخبار بالتلاحم في حركة الدعوة، وجاءت الصورة التمثيلية مهاداً للوعظ بالصورة العسكرية المتكاملة التالية:

نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُهَا لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدْبَ لَهُمْ
إِذَا الرِّعَانُفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا جُرْعَ
أُسْدٌ بَبِيضَةٌ فِي أَرْسَاعِهَا قَدَعٌ كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ

إذ تعرض هذه الصورة للأبعاد القتالية المتعددة للجماعة المسلمة، الحرب الاضطرابية، والحرب الاختيارية، وفي صخب الحرب وجلبتها، وما بعد هدأتها.

والثبات والتوحد هو المنهج المطرد، الذي يحتوي هذه الأبعاد في تعددها، فلا فَرْقَ بين صورتهم في السمو والظهور، إذا فُرِضَتِ الحربُ عليهم (نسمو إذا الحرب نالتنا مخابها) أو إذا فرضوها على أعدائهم (إذا نصبنا لقوم لا ندب لهم)، ولا تباين في شدتهم وتماسكهم في ساحة الحرب أو ما بعدها، إذ لا تزعزعهم الهزيمة، ولا يطيش بهم التصرُّ.

فمقصود هذه الصورة بوسائلها البيانية المتنوعة من تشبيه وتمثيل واستعارة -الوعظ بالتحذير والترهيب، ليشغل بها ذهن السامع في مدى الخطر، وليستحضر هذه الصورة كلما غرته القوة، أو أوقع الوهم في نفسه خائراً من العدوان.

وفي الأداء إتقان ومبلغ من الإبداع في الاستعارة والتمثيل، أما الاستعارة البديعة في السمو إذا الحرب، ونالتنا مخابها، والرّعانف خشعوا، وأظفارها فقد قام عليها بناء البيت:

نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُهَا إِذَا الرِّعَانُفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا

وأما تمثيل الحركة والهيئة ففي قوله:

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدْبَ لَهُمْ
أُسْدٌ بَبِيضَةٌ فِي أَرْسَاعِهَا قَدَعٌ كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ

على أن المدح القائم على أسلوب التّعجب (أكرم بقوم) والتفضيل (أفضل الأحياء)، ما يعزّز هذه المفارقة ويُقوّي من فنّ المقابلة، ويجسّد الانفعال.

وحدة الموضوع:

فالقصيدة متوحّدة في طرفيها مطلقاً ومقطّعة، بداية ونهاية، متوحّدة في غرضها، إذ افتتحت بقضية تميّز الجماعة المسلمة قبلأً ودينياً.

إنّ الذوائب من فُهر وإخوتهم يرضى بها كلُّ من كانَتْ سريرته

قد بيّنوا سُنّة للناس تُتَّبَع تقوى الله وبالأمر الذي شرّعوا

وختُمت بالقضية نفسها، فعادت لنقطة انطلاقها تركيزاً وترسيخاً وتكاملاً.

أكرم بقوم رسول الله قائدُهم فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم

إذا تفرّقت الأهواء والشّيع إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا

وينتظم السياق في القصيدة توحد ظاهر في ضمير الجماعة الطّاعية تردّده في الأبيات متّصلاً غير منفصل، غائباً غير حاضر ولا متكلّم، بالاسم والفعل، مثل: حاربوا، ضرّوا، عدّوهم، أشياعهم، أكفّهم، فضلهم، يطبعون، يضنّون، يصيبهم، أعطوا، عوجوا، غضبوا... الخ، بما يدل على وحدة الفعل والسلوك عند الجماعة المسلمة، وعدم تباينهم مهاجرين وأنصاراً. ولمعجم الألفاظ الإسلامية حضور في هذا السياق، إذ جاء انبثاؤه في القصيدة شاملاً، يعكس الثقافة التي ينتمي إليها الشّاعر، من ذلك: سُنّة، تقوى، الإله، شرّعوا، البدع، الوحي، نبيّ الهدى والبرّ، أهل الصّليب، رسول الله.

وللأدوات التعبيرية ارتباط بهذا التّوحد في السياق، غير أنها لم تتخلّص من موقف الشّاعر بوسائله من الإيقاع والنّبر بشكل خاص فيما يلي:

-القافية: فحرف العين من الحروف الحلقية ذات الوقع الشّديد والجهارة الصّوتية، وعلى الرغم من أنّ حركة حرف الروي عملت على تخفيف وقع صوت العين للمدّ الطّارئ في القافية، فإنّ بنية بعض الألفاظ في القافية أبرزت هذه الشدّة في الإيقاع، من ذلك: تُتَّبَع، البدع، رقعوا، طبع، جدعوا، فدّع، الذّرع، صنع.

وكان أكثر الحروف دوراناً في إظهار العين، الباء، والدال والراء، حقاً لقد فرض شاعر تميم على حسان هذه القافية، فكانت مهمته في الاختيار عسرة، لكنّها ذات براعة في القدرة على مجاراته ومناقضته.

-الدويّ الصوتي في الألفاظ، وذلك ملموس في اختيار بعض الألفاظ ذات البنية الإيقاعية شديدة الصدى مثل، يرقع، يطبعون،

جاهد، أجدوا، استقاد، غضبوا، يخاض، الصاب والسّلع، الزعانف، خور، مكتنع، ندب.

وملاحظة ذلك أيضاً في الاعتماد على فعل الأمر في الخطاب قوة صدامية تنبيهية مثل: فاعلم، خذ، فاترك، أكره.

-أسلوب الشرط المصدر (بإن) و(إذا) الذي جاء الاتكاء عليه في القصيدة أسلوباً في التقرير والاستدلال كقوله:

قوم إذا حاربوا صرّوا غدوهم أو حاولوا النّفع في أشياءهم نفعوا

وقوله:

إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

وقوله:

إذا نصبنا لقوم لا ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع

وهذه الوحدات الإيقاعية متباعدة الشكل متحدة الموسيقى، ذات مهارة في تشكيل الأسلوب بنبرات متناسبة وطبيعة السامعين، وقد

حققت الغاية التي لخصها آنذاك بانطباعية صائبة الأقرع بن حابس في قوله: "والله إن هذا الرجل (الرسول) لمؤتئ له، لخطيبه

أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، وكفى به ناقداً مميّزاً.

نص من عينية أبي ذؤيب في فقد أبنائه

قصيدة أبي ذؤيب الهذلي (ت. ٢٧هـ) تُعد من أروع المراثي في الشعر العربي، قالها بعد أن فقد أبنائه جميعاً في الطاعون. وهي

قصيدة طويلة مشهورة، ومن أشهر أبياتها:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميم لا تنفع

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ثرد إلى قليل تنفع

والدهر لا يبقى على حدائيه جون السراويل رث كل مصنع

والمرء ساعٍ للحتوف بقدره وللمنايا حتف كل مصنع

وإذا المنية أخطأتك وصادفت حبلاً، فأخطأ حبلاًها المتقطع

أبو ذؤيب الهذلي: هو خويلد بن خالد بن محرث من قبيلة هذيل، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام، لكنه لم يلتق بالرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته، فقد دخل المدينة المنورة يوم وفاة الرسول، وشهد الصلاة عليه، وشهد دفنه، وله رثاء فيه

شهد أبو ذؤيب كثير من غزوات المسلمين في زمن الصحابة، توفي أبو ذؤيب في زمن الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وقيل استشهد في أفريقيا في إحدى الغزوات هناك.

مناسبة القصيدة:

القصيدة قالها أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا في مرض الطاعون في عام واحد، وهي مرثية حزينة، كلها أسى ومرارة، فيها حكمة، وجوانب تفكير فلسفي، وهي قصيدة طويلة بلغت تسع وستون بيتا، ونحن سنقف على بعض أبياتها وهي التي شكلت جوهر القصيدة، والغريب في هذه القصيدة أنها لا تحتوي على أثر إسلامي، مما رجح البعض أن أبا ذؤيب قد يكون نظمها في الجاهلية.

شرح المفردات الواردة في نص القصيدة:

المنون: جمع منية، وهو الموت، أميمة: زوجة الشاعر، أودى: هلك
الرقاد: يريد الموت، وهو في الأصل النوم، غبرت: بمعنى مكثت، ناصب: شاق ومتعب، أخال: أظن، ألفيت: وجدت، حدقة العين: سوادها، سملت: فقتت، الحوادث: المصائب، مروءة: هي نوع من أنواع الحجارة البيضاء، الصفا المشرق: اسم مكان، أو هو حجارة صلبة، تفرع: تضرب، التلف: يريد هنا الهلاك والموت، المصرع: الموت، السفاهة: الجهل ضد الحلم، يفجع: يصاب بمصاب أليم، مقنع: أي مكفن، أي ملفوف بكفن، التجلد: إظهار الصبر، التضعع: الخضوع والذل، والحدثان: بمعنى الحادثة، السراة: بفتح السين: أعلى الظهر، الجون: الأسود المائل إلى الحمرة، وأراد بجون السراة: حمار الوحش، والجذائد: الأتُن أي أنات حمر الوحش التي لا ألبان لها.

تحليل النص:

تعد عينية أبي ذؤيب الهذلي من عيون الشعر العربي، وهي قصيدة أنشدها بعد أن هلك أبنائه كما أشرنا في عام واحد. القصيدة عبارة عن حديث عن ملحمة الموت عند شاعر فقد أعز من عنده، فقد صور حياته وقد أذنت بالمغيب، وهو في حالة استسلام، ويأس وقلق، فلم يعد يريد إلا الخلاص من ذلك السأم والخوف والضيق، وهول ما رآه من قانون الموت، وحتمية الفناء الذي يفرض نفسه من خلال كل الأشياء ليستجيب له كل الأحياء.

ويلاحظ في مقطع القصيدة الوارد أن الشاعر ينهج أسلوب الحكمة، والتأمل من خلال لغة حوارية تتسم بالوضوح، فقد كان في حوار واضح اختلقه وتخيله مع زوجته (أميمة) التي بدت تلومه، وتقرعه عن إهماله، وكثرة حزنه، وهذا الحوار

كشف عن إهمال الشاعر لنفسه بسبب الموت الذي تأمل فيه كثيرا ، وهذه القضية (تأمل الموت) تقض عليه مضجعه ، وما زال حزنه يمنعه من النوم ، فيظل منشغلا بالتفكير بالموت ، فهو يدرك أنه صائر الى فناء ، كما ذهب أبناؤه قبله ، ومن أجل ذلك فقد استعمل معجما لغويا دالا على الحزن ، والفناء ، والخوف ، وحتمية الموت : (المنية ، الدهر ، الجزع ، الابتذال ، الدهر ، قض عليك المضجع ، أودى بني ، ودعوا ، حسرة ، عبرة ، تلف ، مصرع ، بكاء ، عيش ناصب ، العين سملت بشوك ، الحوادث ، تفرع ، يبلى ، تصدعوا)

وهكذا نرى هذا الحشد والتكثيف اللفظي الذي يوحى بدلالة واحدة، وهي حتمية الموت. لقد اتخذ الشاعر الجوانب البيانية لرسم صور تقرب المعنى وتزيد لوحاته جمالا، ومما ظهر منها في النص: صورة المنية بشراستها وقسوتها (وإذا المنية أنشبت أظفارها) كأنها حيوان تنشب أظفارها في البشر فقد شبهها بالحيوان المفترس، واستعار لها أنياب لتحقيق تلك الشراسة، وصور المنية مرة أخرى تصويرا تقريريا حينما صور عجز البشر أمام المنايا (كم من جميع الشمل ملتئم الهوى فتصدعوا) وقد صور عينيه وقد جافاها النوم بأن حدقاتها قد سملت بشوك، فهي صورة توضح شدة معاناتها وحزنه، ومن صور الأخرى أنه صور الحوادث وشدة وقعها عليه وتكرارها في حياته كأنها حجارة تفرع بحجارة (مروة تفرع بصفا مشرق كل يوم) أما الموت فقد تعامل الشاعر معه بروح بطولية، وحرص دائم على الحياة، وتمسكه بمقوماتها، ويتضح هذا من خلال قوله: (ولقد حرصت بأن أدافع عنهم) وتظهر نزعة التحدي للموت واضحة، ولكنه يدرك أن الموت هو النهاية الحقيقية، ومع هذا لا بد للإنسان أن يتسلح ويقاوم هذه النهاية المأساوية للحياة مع علمه بانتصار حتمية الموت على الحياة.

نظم الشاعر قصيدته على البحر الكامل (متفاعله متفاعله متفاعله) وجاء هذا البحر منسجما مع غرض الرثاء، وينسجم أيضا مع الحالة النفسية للشاعر، أما القافية فقد جاءت على حرف العين المضمومة التي دلت على طول المعاناة، كما التزم الشاعر بظاهرة التصريع، وذلك في مطلع القصيدة (تتوجع، يجزع) وكان لهذا وظيفة إيقاعية جمالية. أما الإيقاع الداخلي فقد استعمل الشاعر التكرار وهذا ما نلاحظه في النص فقد كرر المفردات: (المنية، تتوجع، الدهر، الدمع، البكاء، الجسم) وغيرها، أما الجناس فقد ورد من خلال: (أدافع، تدفع)، (البكاء، بالبكا)، (راغبة، رغبها) (فجع، لمفجع)، (قرع، يقرع).

أما أزمان القصيدة فقد اتكأ الشاعر على الزمن الماضي كثيرا، وأكثر من صيغ الماضي ليحكي وقائع تجربته المريرة كما عاشها، وراح يبيثها، فهو يردد: (أودى بني، أعقبوني حسرة، سبقوا هواي، تحزموا، أنشبت أظفارها)

نص من بردة كعب بن زهير

قصيدة كعب بن زهير المشهورة بـ البردة أو "بانث سعاد"، قالها بين يدي النبي ﷺ بعد إسلامه، فأعجب بها الرسول وكافأه ببردته الشريفة، وهي من عيون الشعر العربي في صدر الإسلام.

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المُنْزِي، نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب فنشأت معه ملكة الشعر، وأشهر أحداث حياته خبر إسلامه، واعتذاره إلى رسول الله بقصيدته الشهيرة، ويبدو في شعره طابع المدرسة الشعرية المهذبة له، ولا عجب في ذلك فهو كأبيه زهير يهذب شعره وينتقي ألفاظه، ويتبعه في براعه التشبيه والتصوير الحسي، وكأستاذه (أوس بن حجر) في العناية بالألفاظ الغريبة .

مناسبة النص :

وَقَدْ بجير أخو كعب على رسول الله في أواخر سنة ٧هـ فأسلم، فاستاء كعب، وبعث بأبيات إلى أخيه يؤنبه ويحثه على الردة، وبلغت أبياته رسول الله فأهدر دمه، ثم شهد بجير فتح مكة وانتصار المسلمين فأرسل إلى أخيه وقال: " قد أوعد الرسول رجالاً بمكة فقتلهم وهو والله قاتلك أو تأتية فتسلم" فقدم كعب إلى المدينة متكرراً واستجار بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأتى به المسجد وهو مثلث بعمامته بعد صلاة الفجر وقال: " يا رسول الله، رجل يبائعك على الإسلام" بسط النبي يده، فحسر كعب عن وجهه وقال: " هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله، وأنشد كعب قصيدته (بانث سعاد) فُسِّرَ بها رسول الله ولما وصل إلى قوله :

إن الرسول سيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

خلع عليه نبي الله بردته، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بذل لكعب عشرة آلاف درهم فلم يبعها، فلما مات اشتراها معاوية من ورثته بعشرين ألف درهم وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون ويقال إنها وصلت إلى سلاطين آل عثمان، وهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين.

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُوتٌ مَتَيْتُ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُوتٌ

وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُوتٌ

دَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ لَا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلَا طَوْنٌ

تَجَلُّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مِنْهَلٌّ بِالرَّاحِ مَعْلُونٌ

شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُونٌ

تَجْلُو الرِّيحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرِطُهُ	مِنْ صَوْبِ سَارِيَةِ بَيْضِ يَعَالِيْ
يَا وَيَحْهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ	مَا وَعَدَتْ أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَعَّ وَوَلَعَّ وَإِخْلَافَ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا	كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغَوُ
وَمَا تَمْسُكُ بِالْوَصْلِ الَّذِي رَعِمَتْ	إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

القصيدية من القصائد الطويلة المكتملة نظمها الشاعر كعب بن زهير في ظرف خاص، فقد أهدر الرسول دمه، وتخلت عنه قبيلته مزينة، وتخلّى عنه الصديق والأخ والأهل، كان قلقا خائفا يترقب وهو يتوجه الى الرسول في المدينة، لا يدري قد يصل أو يقتل في طريقه اليه، وإن وصل قد يعفو عنه الرسول وقد لا يفعل ذلك، فرحلته مجازفة لا تخلو من خطورة، هذه هي ظروف الشاعر حين توجه بقصيدته للرسول.

القصيدية يمكن تقسيمها الى أجزاء هي:

الجزء الأول: المقدمة أو المطلع أو الاستهلال، وقد استهل الشاعر قصيدته بالغزل، فالغزل هو مقدمة القصيدة.

الجزء الثاني: التمهيد، وكان وصف الناقة تمهيدا للقصيدة.

الجزء الثالث: موضوع القصيدة، وكان مديح الرسول والاعتذار منه هو موضوع القصيدة.

يبدأ الشاعر قصيدته بالغزل وهو بذلك ينتهج نهجا تقليديا، وكعب عند نظمه لهذه القصيدة فقد نظمها وهو لا زال في زمن جاهليته، ولم يدخل الإسلام بعد، ويلاحظ أنه لم يبدأ بالطلال إذ وجد الغزل موضوعا ثريا يتيح له الإشارة واللمح الى أمور كان يضمورها في نفسه، والغزل كما هو واضح في النص استغرق (١٢ بيتا) لاحظنا أن هذا الغزل يمكن أن يقسم على قسمين:

غزل إيجابي استغرق ستة أبيات ، وهي الأبيات الأولى من القصيدة ، إذ أن الشاعر وصف فيها حبيبته وصفا جميلا ، فقد تغنى بجمال صوتها وعينيها ، وبياض أسنانها ، فهو متم بسعاد التي احبها وخلص لها مدى الدهر ، وقد أعطى صورة جميلة لها فهي ذات صوت عذب رقيم فيه غنة ، وذات طرف جميل مكحول ، وذات عوارض (أسنان) مجلوة بيضاء اذا ابتسمت بان جمالها ، كما وصف ريقها مشبها إياه بالخمرة التي تمزج بالماء البارد العذب ، يلاحظ أن الشاعر في تغزله الإيجابي هذا اعتمد الوصف الحسي لإظهار عناصر الجمال ، فصوره كلها مما يدرك بالحواس كالבصر والسمع واللمس.

غزل سلبي: ويبدأ من البيت السابع ويستغرق ستة أبيات أخرى (لكنها خلة قد سيط ...). ويلاحظ أن الشاعر هنا انقلب على محبوبته الجميلة فبدأ هجومه عليها هجوماً غير متوقع من حبيب لحبيبتة فوصفها بالكاذبة، لا ينفع معها النصيح، متقلبة، مخلفة للوعد، تولعك وتبتعد فهي لعوب مخادعة، متلونة كالغول، تخلف وعودها ولا تصدق لا تكاد تمسك منها وعدا فهي كالغريبيل حين يمر منه الماء. ويلاحظ أن هذا الوصف جاء خلاف الوصف في الحالة الأولى (إظهار الصفات الجميلة، أي الغزل الإيجابي) فقد جاء الوصف معنويا وليس ماديا أي لا يدرك بالحواس كالكذب، والغدر، وإخلاف الوعد وغير ذلك.

بعد هذا يقف القارئ المتدبر حائرا أمام هذا الغزل الذي يبدو فيه التناقض واضحا، فهو مرة حلو جميل (إيجابي) ومرة قبيح ومعيب (سلبي)، ونحن نرجح أن هذا الغزل ليس بالغزل التقليدي كما درج الشعراء واعتادوا في مطالع قصائدهم، كما لا نرجح أن يكون غزلا حقيقيا ذلك لأن الدلائل لا تشير إلى ذلك، فالشاعر مهذور الدم، خائف مرتعب يقف أمام حضرة الرسول الذي يمثل قمة الدين الإسلامي، فهل من المعقول أن يتغزل الشاعر بحبيبتة وهو بمثل هذا الظرف الصعب، إذن ماذا يمكن أن نقول عن هذا الغزل؟ وهل هو غزل حقيقي؟ أم أراد الشاعر شيئا آخر؟

كعب بن زهير هنا ما أراد أن يتغزل إنما أراد أن يشير ويرمز إلى القبيلة التي تخلت عنه وتركته وحيدا لمصيره، وما سعاد هنا إلا رمزا للقبيلة، وهي السعادة الآفلة التي فارقتها، فسعاد هي قبيلة الشاعر مزينة بما فيها من القوم والأهل والأصحاب، وهذا واضح إذ أنه وصفها وصفا إيجابيا وظهر الصورة الجميلة لها، ذلك أن القبيلة كانت كذلك بالنسبة له قبل أن يهدر دمه وتتخلى عنه، فهي مكان مولده ونشأته وبربوعها تربى وبين أهلها نشأ قضى بين أهله أجمل أيام حياته، آوته، واحتضنته، ودافعت عنه، ورعته، فهي جميلة حلوة ولا بد أن يسبح عليها صفات إيجابية، ولكن القبيلة هذه لم تحافظ على عهدا معه فقد انقلبت عليه وتخلت عنه وكشرت عن أنيابها القبيحة وذلك حين أهدر الرسول دمه ولجأ إليها لحمايته، ولكنها تخلت عنه وتركته وحيدا يلقي مصيره، فهي متقلبة، عديمة الوفاء، تولعك ثم تفجعك، متلونة كاذبة وهذا ما مثله الجزء الثاني من الغزل في القصيدة.

الجزء الثاني: وصف الناقة

أما الجزء الثاني من القصيدة يبدأ بعد بيت انتقال موفق جدا وهو: (أمت سعاد بأرض). فقد انتقل الشاعر انتقاله موفقة إذ استخدم الفعل الماضي أمسى فلم نشعر معه أن الشاعر انتقل إلى غرض آخر وهو وصف الناقة والذي كان التمهيد في القصيدة، فقد ذكر الشاعر إن السعادة أمت بعيدة عنه لا يبلغها إلا من خلال ناقة قوية صلبة تتحمل مشاق الرحلة والطريق، حيث يوجد الأمل، حيث الرسول الذي يطمع الشاعر أن يعفو ويصفح عنه.

يبدأ الشاعر في هذا الجزء وهو أطول وأصعب جزء في القصيدة بوصف ناقته التي حملته الى المدينة حيث الأمان والعفو.

الجزء الثالث: المديح والاعتذار:

والشاعر وقبل البدء في الجزء المهم والأساس في القصيدة وهو مدح الرسول، يظهر عبقريته وذكاءه فيمهد قبل المدح والاعتذار بأبيات يشكو فيها حاله، ويبين ظرفه إذ بات وحيدا وقد تخلّى عنه الأصحاب والأهل بعد أن وعدوه بالمساعدة وأغروه بهجاء الرسول ثم ابتعدوا وتكروا له، وأكدوا انه سيقتل لا محاله لأن الرسول لن يرحمه ولكنه يأمل غير ذلك ويطمع برحمة الرسول وعفوه، تتجسد هذه الأبيات وعددها خمسة أبيات من (تسعى الوشاة الى.. فقلت خلوا) نرى فيها كعبا يتحدث عن الوشاية والوشاة، وتحذيرهم له، وانشغال الناس عنه، كما نلاحظ استعانتة بمعان إسلامية (فكل ما قدر الرحمن مفعول) فهو يؤمن بالقضاء والقدر، وقوله (كل ابن أنثى وإن طالت سلامته) إيمانه بحتمية الموت والرضى بقضاء الله، وبهذه المعاني مهد الشاعر للدخول الى مدح الرسول الذي يبدأ في البيت (أنبت أن رسول الله أوعدني).

وهنا أجاد الشاعر اختيار العبارات والألفاظ المناسبة لشخص الرسول إذ خاطبه بأحب ألقابه (رسول الله) مرتين في البيت الواحد ثم خصه بالعفو والأمل المرجو والرحمة، وخصه بمعجزة القرآن الكريم ومآبه من حكم ومواعظ وتفصيل لكل ما يخص حياة الناس ويترجى أن لا يأخذ الرسول بقول الوشاة فقد يكون مظلوما، ثم يصف هيبة مقام الرسول وجلاله وخوفه من هذه الهيبة والوقار الذي جعله يرتعد إجلالا وهيبة من مقامه الكريم، ثم شبه شجاعة الرسول بشجاعة الأسد وهيبة، وشبهه كذلك بالنور الذي يبدد الظلمة فهو مصدر الهداية للبشر، ثم يأتي على مدح المهاجري الذين خصهم بأبيات دون الأنصار فوصفهم بالشجاعة، ونفى عنهم صفة الجبن، ووصفهم بأبطال الحروب، كما وصف عدتهم للحرب، ووصفهم بالرفعة والسمو والكرامة (شم العرانيين)، وختم قصيدته بالتعريض بالأنصار لأنهم هموا بقتله حين دخل على الرسول، فأضمرها لهم فهجاهم وقال عنهم (سود تنابيل) أي وصفهم باللؤم وحقارة المنظر وهذا مالم يعجب جمع المسلمين والرسول فنظم فيهم قصيدة مستقلة يعتذر عما قال فيهم.

وبعد فقصيدة البردة نظمت على البحر البسيط (مستعلن مستعلن فاعلن) تتكرر هذه التفعيلة، ويلاحظ ان البسيط جاء مناسباً لموضوعات القصيدة المتعددة وانفعالات الشاعر المتكررة فجاءت تفعيلاته المتكررة مستوعبة لكل هذا، أما القافية فهي حرف اللام وكما هو معروف أن اللام من القوافي الدال على السهولة الميسرة التي تنتج كلمات كثيرة وهذا يتناسب مع طول القصيدة، بنيت القصيدة بناء متكاملًا تنوعت أغراضها وتعددت، أما لغتها فقد تنوعت هي الأخرى ما بين لغة غريبة صعبة كما في

الجزء الخاص بالناقة ، ولغة سهلة واضحة كما في مدح الرسول ومدح المهاجرين ، توفرت القصيدة على صور فنية من تشبيه واستعارة ومجاز ، وحقا كان كعب بن زهير في هذه القصيدة شاعر الصنعة وابن زهير بن أبي سلمى إذ كان مقتدرا متمكنا من جلال القول وقوته وجزالته وأحكام الصنعة الشعرية.

أما التكريم فكان أكبر من توقع الشاعر ، وكان من الممكن أن يكتفي الرسول بالعفو والصفح وهذا أقصى ما كان يريده الشاعر ولكن الرسول خلع بردته وكرمه تكريما لم يحظى به شاعر قبله، ويبدو أن سبب ذلك أن الرسول أراد أن يرفع الحرج عن كل الشعراء الذين أساءوا للإسلام والرسول فيعيدهم الى المجتمع الإسلامي أعضاء فاعلين يساهمون في بناء الدولة الإسلامية، فهذا التكريم لم يختص بكعب وحده إنما كل الشعراء الذين ابعدوا أنفسهم ترحا وخجلا مما فعلوا.

من معلقة زهير بن أبي سلمى

معلقة زهير بن أبي سلمى من أروع المعلقات وأكثرها نضجا في الحكمة والتجربة الإنسانية. هي قصيدة طويلة (أكثر من ٦٠ بيتا)، تتوزع موضوعاتها بين الوقوف على الأطلال، والمدح، ووصف الحرب والتملم، والحكمة. زهير يُلقب بـ حكيم الشعراء لأنه صاغ معاني التجربة الحياتية والأخلاقية في أبيات جامعة.

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ	بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَّكَلِّمِ
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا	مَرَجِنُجٌ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِ مِغْصَمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْأَمُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً	وَأَطْلَاوَهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْنَمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً	فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ
أَتَأْفِي سُقْعاً فِي مُعْرَسِ مِرْجَلِ	وَتُوِيًّا كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَّكَلِّمْ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا	أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمِ
تَبْصُرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ	تَحْمَلْنَ بِالْعُلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ
جَعَلَنَ الْقَتَّانَ عَنْ يَمِينِ وَخَزْنَهُ	وَكَمَّ بِالْقَتَّانِ مِنْ مُحِلِّ وَمُخْرِمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطِ عِتَاقٍ وَكِدَّةٍ	وَرَادِ حَوَاشِيَهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ
وَوَرَّخَنَ فِي السُّوبَانِ يَغْلَوْنَ مِثْلَهُ	عَلَيْهِنَّ دُلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ
بَكْرَنَ بُكُورًا وَاسْتَحْرَنَ بِسُخْرَةٍ	فَهُنَّ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْقَمِ

وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ
أُنِيقَ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمْ
فَلَمَّا وَزَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ
وَضَعْنَ عِصْيَ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ
عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ وَمِفْأَمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَنِيَّتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رَجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

الفكرة: الوقوف على الطلل بعد غياب وتذكر معالمها:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَتَلِّمِ

يتساءل الشاعر عن أثر من آثار زوجته أم أوفى، وقف عليها (في مكان في نجد اسمه حومانة الدراج والمتتلم)، ولم تنطق بكلمة لأن زوجته هجرته.

الهمزة في أمن للاستفهام، الميم في (تكلم وفالمتتلم) تصرع.

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْأَمُ يَمْشِينَ خَلْفَهُ وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ

في هذه الأطلال يرى الشاعر بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها خالفات بعضها وتنهض أولادها من مراتبها لترضعها أمهاتها.

ذكر مظاهر الحياة بعد الحرب يدل على السلام والوئام الذي حل بالديار بعد السلام الذي حدث.

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ

وقفت بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة من الغياب، وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة، لبعد العهد بها وذهاب معالمها.

حجة: تمييز منصوب

يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ خَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ

الإشادة بالمصلحين لإدراكها السلم بين القبيلتين

يقسم الشاعر يمينا أن السيدين (هرم بن سنان، والحارث بن عوف) قد استوفيا صفات الشرف والعلواء في كل الأحوال من شدة ورخاء لما تحملاه من ديات القتلى والصلح بين عبس وذبيان.

كنى الشاعر عن حال الرخاء واليسر بالخيط اللين غير المبرم، وعن حال الشدة والعسر بالخيط الذي احكم فتله

المحسنات البديعية: الطباق في قوله (سحيل ومبرم) لتأكيد المعاني وتوضيحها.

تَذَارَكْتُمَا عَيْبًا وَذُبْيَارَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشَمٍ

يخاطب الشاعر سيدين كريمين هما هرم بن سنان والحارث بن عوف قائلا: تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما

وبعد دقهم عطر هذه المرأة، أي بعد إتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطين دقوا بينهم عطر منشم) كناية عن

الموت التام؛ لأن منشم هذه باعت قوماً عطراً فماتوا جميعاً

عبسا وعطر: كلاهما مفعول به

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نَذْرِكَ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمَ

يخاطب الشاعر هرم ابن سنان والحارث بن عوف قائلا: وقد قلتما إن اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء

المعروف من الخير سلمنا من تفاني العشائر.

إن: حرف شرط جازم لفعلين

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ

الفكرة: الحديث عن الحرب ووصف ويلاتها:

يخاطب الشاعر ابن سنان والحارث قائلا: ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها وما أقوله شهدت عليه

الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون

أسلوب حصر وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقْتُمْ

مَتَى تَبْعَنُوهَا تَبْعَنُوهَا دَمِيمَةً وَتَضُرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرَّ

يخاطب الشاعر علمت عبس وذبيان: قائلا: لقد علمت عبس وذبيان نتائج الحرب وعرفوا كراهتها، وليس الحديث عن الحرب

رجما بالغيب أو حديثا عن مجهول.

الاستعارة شبه الحرب مرة بالأسد الذي يتوثب لافتراس فريسته (تضر) وأخرى بالنار المتوقدة التي تلتهم الأخضر واليابس،

والاستعارتان مكنيتان.

المحسنات البديعية: الجناس في قوله (تضر وتضرم) لتأكيد المعاني وتوضيحها.

فَتَعَرَّكُكُمْ عَرَكَ الرِّحَى بِثِقَالِهَا وَتَلْفَحُ كِشَافاً ثُمَّ تَنْتَجُ فُتْنَتِي

يخاطب الشاعر علمت عبس وذبيان واصفا الحرب وويلاتها وتعرككم الحرب عرك الرحى الحب مع ثقاله، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن، ثم قال وتلفح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين، جعل الحرب بمنزلة طحن الرحى الحب وجعل صنوف الشر تتولد من تلك الحروب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات، وبالغ في وصفها باستتباع الشر شيئين: أحدهما جعله إياها لاقحة كشافا، والآخر إتمامها.

في صدر البيت صور الحرب في صورة الرحى، جاعلاً البشر في صورة حبوب تتحول إلى دقيق يسقط على الثقال. وصورها في عجز البيت في صورة الناقة التي تلد في كل عام توأم، في إشارة واضحة لهزال تلك الناقة وهزال أبنائها؛ وبالتالي عدم فائدتها، وجلبهم للأمراض، (استعارة مكنية) ورمى من وراء الصورتين إلى هدف واحد، هو التنفير من الحرب بوصفها على هذه الصورة القبيحة.

سَمِئْتُ تَكَايُفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

يتحدث الشاعر عن تجربته في الحياة قائلاً: مللت مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين سنة ملَّ الكبر لا محالة.

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خُبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ/ثَمَنُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ

يتحدث الشاعر عن تجربته في الحياة قائلاً: رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة كما أن هذه الناقة تطأ

على غير بصيرة، من أصابته أهلكته ومن أخطأته أبقته يبلغ الهرم

الصورة الفنية: شبه الشاعر المنايا بالناقة التي تسير على غير هدى رَأَيْتُ الْمَنَايَا خُبَطَ عَشَوَاءَ

المحسنات البديعية: الطباق في قوله تصيب وتخطئ لتأكيد المعاني وتوضيحها

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأَ بِمَنْسَمٍ

ومن لم يدار الناس في كثير من الأمور قهروه وأذلوه وربما قتلوه كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم.

يوطأ بمنسم: كناية عن الذل

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ دَمًا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ

من أحسن إلى من لم يكن أهلاً للإحسان إليه والامتنان عليه، دُمَّ ولم يحمد، فيندم على إحسانه في غير موضعه.

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

مهما كان للإنسان من صفة أو خلق، يظن أنه يخفى على الناس علم، "أن الأخلاق لا تخفى والتخلق لا يبقى"

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

الإنسان بلسانه وقلبه وما عدا ذلك صورة.

المحسنات البديعية: حسن التقسيم في قوله نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ لتأكيد المعاني وتوضيحها.

الصورة الفنية: صور اللسان والقلب بصورة جسم الإنسان.

من خطبة علي بن أبي طالب مع مناقشة عامة ومراجعة

خطبة الإمام علي (عليه السلام) وهي أول خطبة له في خلافته:

قال بعد أن حمد الله أثنى عليه:

" إن الله تعالى أنزل كتابا هاديا، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، إن الله حرم حرما مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، إلا بالحق، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإنما خلفكم الساعة، تحذو بكم، فتخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بالناس أخرهم.

أتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه "واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس، فأواكم وأيدكم بنصره، وورزقكم من الطيبات".

ويبدو واضحا أن هذه الخطبة دينية، ويلاحظ أن المعاني التي تقوم عليها الخطبة تدور في فلك الزهد والمواظ، فيها يدعو الإمام إلى التقوى والهداية والإرشاد، والصلاح، وتكاد تكون خطبة الإمام علي الدينية هذه تفسيرا لتعاليم القرآن، وتفصيلا لها، ولا عجب فالإمام متشبع بإسلامه المبكر، وبطول صحبته لرسول الله والقرب منه، وأسلوب الإمام - كما يبدو - يميل إلى التأنق، في صوغ العبارة وتزيينها، فهو يستخدم الطباق (الخير والشر) و(أمامكم وخلفكم) والاستعارة (تخففوا تلحقوا والصورة وسيلة من وسائل الأداء في أسلوب الإمام بشكل عام .

كما ويلاحظ الاقتباس القرآني، والاقتباس النبوي، وهو ما أشرنا إليه بين الأقواس، ففي جملة " والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " مقتبسة من حديث نبوي شريف بلفظه، وفي قوله: " واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض " هي آية قرآنية

اقتبست بلفظها من سورة الأنفال في قوله تعالى: " واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون"

خطبة الإمام علي (عليه السلام) في الحث على الجهاد:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَيَزْعُ اللَّهُ الْحَصِينَةَ وَجَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَوْبَ الذَّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَدَيْتَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُذِلَّ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسَفِ وَمَنْعَ النُّصَفِ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا وَقُلْتُ لَكُمْ أَغْرُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْرُوَكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَرِي قَوْمٌ قَطُّ فِي غُرِّ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَادَلْتُمْ حَتَّى شَتَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَمَلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانٍ الْبَغْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِزْجَاعِ وَالِاسْتِزْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرَيْنَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَّمَ وَلَا أَرِيقَ لَهُ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ إِمْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مُلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيَجْلِبُ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَقَرُّكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَمُنْجَا لَكُمْ وَتَرَحُّا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يَرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ وَتُغَرِّوْنَ وَلَا تَغْرُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ فَلَنْتُمْ هَذِهِ حِمَاةَ الْقَنْيِظِ أَمَهْلُنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ فَلَنْتُمْ هَذِهِ صَبَاةَ الْقَرِّ أَمَهْلُنَا يُنْسَلِجُ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ (فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَقْرُونَ) فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ خُلُومِ الْأَطْفَالِ وَغُفُولِ رِبَّاتِ الْحِجَالِ لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَزُكُّكُمْ وَلَمْ أَغْرِفْكُمْ مَغْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا وَأَغَقَبَتْ سَدَمًا فَأَتَلْتُكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُكُمْ قَلْبِي قَنِيحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَجَرَّعْتُكُمْ نِعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُكُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْبَعْضِيَّانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَزْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ دَرَفْتُ عَلَى السِّتَيْنِ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

الخطبة كما هو واضح في وصف الجهاد وبيان أهميته، فهو باب من أبواب الجنة، وهو طريق المسلم لرضا ربه، وحصنه الواقعي، ويحذر المسلمين من ترك القتال والتثاقل عن الجهاد، ويشد على عضدهم، ويحثهم عليه مصورا الذل الذي يصيب من توانى عن الجهاد، ثم يصف الحسرة والأسى اللذين ما برح يعانِيهما من عصا الله وترك الجهاد متعمدا وهو قادر عليه.

هذه هي المعاني التي نهضت بها الخطبة، وهي تبدو شائعة متداولة، ولكن بلاغة الإمام علي (عليه السلام) ألبستها حلة جديدة حتى نشعر أننا أمام أثر فني متكامل.

فقد بدأ حديثه عن الجهاد بأسلوب الترغيب وقدمه على الترهيب أذ قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل فقد بين قيمة الجهاد عند الله، وفي الإسلام، والترغيب هو وسيلة تأثير عظيمة في نفس المسلم، لاسيما وقد اعتمد التصوير الفني والتشخيص بدل التجريد لمعرفة أثر ذلك في النفس، فربط ذلك بوصف الجنة ونعيمها مقرنا ذلك بالجهاد، ومن ثم انتقل الى الترهيب معتمدا على الألفاظ التي توحى بذلك كالصغار، الخسف، القماء والبلاء وغيرها.

ويلاحظ أن الخطبة اعتمدت أساليب بيانية غاية في الروعة وهي من الأدوات التي امتلكها الإمام (عليه السلام) فعبرة " وهو لباس التقوى " استعارة، والعبارة أيضا اقتباس قرآني من قوله تعالى: قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ... " وفي عبارة " وألبسه الله ثوب الذل " استعارة مكنية أخرى، وقد اعتمدت الخطبة المقابلة والطباق في العبارات " ليلا ونهارا، سرا وإعلانا " كما أنها مقتبسة من قوله تعالى: " رب أي دعوت قومي ليلا ونهارا ثم إني دعوتهم جهارا. "

كما أن عبارات الخطبة وجملها جاءت محكمة الأداء ليس فيها من هذر الكلام وزوائد فالمفردات على قدر المعاني والمعاني مكثفة تحمل دلالات عميقة ومؤثرة، وعليه فإن الخطبة تمثل تطورا واضحا في الخطابة العربية المبكرة في عصر صدر الإسلام. فوائد الجهاد:

يخبرنا الإمام في هذا النص أن للجهاد فوائد وآثارا، منها ما يترتب في الدنيا، ومنها ما يترتب في الآخرة. أما في الآخرة، فهو باب إلى الجنة، لا يدخله كل من أقدم على الموت، بل يدخله خاصة عباد الله الذين صفت نياتهم وخلصت أغراضهم. وهذا البعد هو أحد أهم الأبعاد في الحرب المبررة في الإسلام. فإن الحرب لا تخاض من أجل السيطرة والتوسع وفرض الإرادة على الآخرين، بل تخاض للدخول إلى الجنة. والجنة لا يدخلها إلا من قهر رغباته الشخصية وتنازل عن عصبياته من أجل الحق. وفي هذا السياق يندرج التعبير المشهور عن أحد القتلى في بعض المعارك التي خاضها المسلمون ب: " شهيد الحمار "، فإن هذا الرجل قتل في المعركة ولكنه لم يكن مجاهداً لأنه لم يخلص النية لله، بل كان يريد عرض الدنيا والله يريد الآخرة. وأما الآثار الدنيوية التي تترتب على الجهاد مما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فهي العزة والعدالة الاجتماعية، عندما يخبرنا بأن ترك الجهاد يؤدي إلى الذل والصغار ومنع النصف أي الانتصاف والعدالة.

إنسانية الحرب في الإسلام:

من التهم التي توجه إلى الإسلام، أن الحروب التي خاضها هي حروب دينية موجهة إلى غير المسلمين بقصد السيطرة عليهم وإجبارهم على الإسلام. ومن هذه التهمة اشتقت كل التهم التي تقول بأن الإسلام انتشر بالسيف. ولكن التأمل في هذه الخطبة يكشف عن أن الحرب الإسلامية لم تكن حرباً دينية أو طائفية بهذا المعنى المذكور، بل هي حرب دينية بالمعنى الأخلاقي، أي الحرب التي يقرها الدين من أجل دوافع إنسانية وأخلاقية. وما يشهد لهذا المعنى في هذه الخطبة هو إشارة الإمام عليه السلام إلى أن أبا غامد بلغت خيله الأنبار "... وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَرِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِزْجَاعِ وَالْإِسْتِزْحَامِ". إذاً مبرر خوض الحرب بحسب الإمام عليه السلام هو الدفاع عن المال والعرض للمواطن في الدولة الإسلامية، سواء كان مسلماً أم غير مسلم. فالإمام يرى أن الاعتداء على مواطني الدولة الإسلامية بغض النظر عن هويتهم الدينية يبرر خوض الحرب للدفاع عنهم.

الحرب الاستباقية:

من النقاط البارزة في خطبة الجهاد إشارتها إلى الحرب الاستباقية، حيث يقول عليه السلام: "وَقُلْتُ لَكُمْ أَغْرُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْرُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُرِّيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُرِّ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا". وهذا ربما يكون أحد المآخذ والتهم الموجهة إلى الحرب والجهاد في الإسلام. ولكن قبل الحكم واتخاذ موقف مؤيد أو معارض من هذا الأمر لا بد من الالتفات إلى أن العدو هو الشخص الذي يضمّر العداوة ويتحين الفرص للانقضاض على عده. فمثل هذا العدو لا ينبغي غض النظر عنه وإهماله إلى أن يقوم بفعلته، ثم يحار المسلمون في كيفية معالجة النتائج، ومحو آثار العدوان، وبخاصة عندما يكون هذا العدو في حالة الاستعداد للغزو، فمثله يجب أن يغزى قبل أن يغزو. ويتأكد ذلك عندما نلتفت إلى أن معاوية كان منشقاً عن الدولة الإسلامية، وبالتالي كان في حالة حرب مع الدولة الشرعية بكل مقاييس الشرعية الشعبية والدينية.

القائد والأمة:

يشكو الإمام في هذه الخطبة حاله وتفرق المسلمين عن حقهم وانفضاضهم عن إمامهم، واجتماع أهل الباطل على باطلهم وطاعتهم لأمرهم الخارج عن الدولة الشرعية. وهذا يكشف عن أمرين:

1. الأول: أن الحق يحتاج إلى رجال تحميه وتدافع عنه. ووضوح الحق هو وضوح نسبي، أي هو وضوح عند أهل الحق. ولا يكفي هذا الوضوح لانتزاع الحق من المعتدي ما لم تتوفر في الأمة طاقات مستعدة للتضحية والدفاع والسعي لانتزاع الحق من المعتدين. والتجربة التاريخية تتجدد على أرض الواقع في عصر القانون الدولي وحقوق الإنسان والمنظمات

الإنسانية. فأى اعتداء على الحق أوضح مما يحصل في فلسطين، وحصل وما زال يحصل في لبنان؟ ولكن ما دامت الأمة متفرقة عن هذا الحق، فلن تناله ولن تصل إلى ما تصبو إليه.

2. الثاني: إن الحكم والدولة وما يتفرع عنها من مفاهيم وأجهزة تنفيذية، علاقة بين طرفين، أحدهما القائد الذي يتجلى بمجموعة من الصفات التي تؤهله للقيام بهذا الدور، وتتنوع هذه الصفات بين صفات أخلاقية ودينية وعلمية ذات صلة بالإدارة والتخطيط، ولكن مهما علا كعب القائد وتميز في صفاته، فإنه لن يتحقق له ما يريد، ما لم تتوفر الإرادة الطيبة في الأمة، وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام، في الفترة الأخيرة من سلطته، ولذلك اشتكى شكواه التي خلدها الدهر عندما قال: "وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ".

المصادر والمراجع:

1. ابن هشام، عبد الملك. (2009). السيرة النبوية (ط. ٢). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي.
2. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. (2008). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ط. ١). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية.
3. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. (2020). الشعر والشعراء (ط. ٢). تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الحديث.
4. ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله محمد. (2009). طبقات فحول الشعراء (ط. ١). تحقيق: محمود محمد شاكر. دار المدني.
5. الجبوري، مكي سعيد. (١٩٨٨). شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه. دار الحرية للطباعة.
6. الهادي، صلاح الدين. (١٩٩١). في الشعر الإسلامي والأموي: دراسة في النص والموضوع والفن (ط. ١). دار المعارف.
7. الشايب، أحمد. (٢٠١٢). تاريخ الشعر السياسي إلى آخر القرن الثالث الهجري (ط. ١). مكتبة النهضة المصرية.
8. المبرد، أبو العباس (١٩٨١) الكامل في اللغة والأدب. القاهرة: دار النهضة.
9. القاضي، النعمان عبد المتعال. (١٩٩٠). شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (ط. ١). دار النهضة العربية.
10. النورسي، رويك (٢٠٢٠) وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي. ١. بيروت - لبنان دار الكتب العلمية.

11. القحطاني، وضحي (٢٠١٦). دراسة في نظرية الأدب الإسلامي. ١. دمشق سوريا دار الفكر
12. ترحيني، فايز. (١٩٨٤). الإسلام والشعر: دراسة نقدية على ضوء مدرسة التحليل النفسي. دار الكتاب اللبناني.
13. خفاجي، محمد عبد المنعم. (١٩٩٤). الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي (ط. ١). الدار المصرية اللبنانية.
14. زلط، عبد الرحيم محمود. (١٩٩١). التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة والخلافة الراشدة (ط. ١). دار المعرفة الجامعية.
15. ضيف، شوقي. (٢٠٢٠). العصر الإسلامي (ط. ٢٥). دار المعارف.
16. عبود، م. (1960). أدب العرب: مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم.
17. فتحي، خالد (٢٠٢٢). الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب الإسلامي. ط ١. القاهرة، مصر: دار العالم العربي.
18. قصاب، وليد محمود. (2015). الأدب الإسلامي: رؤية عصرية (ط. ١). دار الفكر.
19. قصاب، وليد محمود. (2004). نظرية الأدب الإسلامي: دراسة في المفهوم والنظرية والتطبيق (ط. ١). دار البشائر الإسلامية.
20. موقع أستاذ، والرابط: <http://uqu.edu.sa/staff/ar/4300278>
21. موقع مكتبة الإسكندرية <http://www.bib-alex.com/>
22. موقع صخر لتعليم العربية لغير الناطقين بها، والرابط <http://gamoos.sakhr.com/>
23. موقع العربية الميسرة، والرابط <http://www.ea4arabic.com>
24. موقع الإمام ابن باز : <https://binbaz.org.sa>
25. موقع المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/11544>
26. موقع الدرر السنية: <https://dorar.net>
27. شبكة الألوكة: <https://www.alukah.net>
28. موقع جامع الكتب الإسلامية: <https://ketabonline.com/ar>

